

الدكتور كامل السوافيري

الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور كامل السوافيري

***

غمرتني موجة من الحزن حين ترامى الى سمعي النبأ المفجع عن رحيل الدكتور محمد زكي المحاسني الذي لبى نداء ربه في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٧٢ اذ فقدت بفقده صديقا من اوفى الاصدقاء ، وفقد الادب المعاصر علما شامخا من اعلامه ، ورائدا من رواده الاوائل الذين حملوا المشاعل الوهاجة واضاءوا بها السبل امام الاجيال القادمة وقد عرفت الفقيد حين كان ملحقا ثقافيا في السفارة السورية بالقاهرة ثم اخذت روابط الود والاخاء تزداد توثقا بيننا على مر الايام ، وكانت بلادي فلسطين المجاهدة ومأساتها الدامية من الاسباب التي وثقت الروابط بيني وبين الفقيد وقرينته الاديبة الموهوبة ، والقاصة البارعة السيدة وداد سكاكيني صاحبة الاسلوب المشرق والاداء الرصين . وقد احب الزوجان فلسطين وابناءها الحب الصادق الذي تجلى في آثارهما القلمية عنها وعن اعلامها وشعرائها وشواعرها وكتابها ونقادها .

وفي المنزل الذي عاش فيه الزوجان الاديبان مع وحيدهما ذكوان ، وكريمتيهما ذكاء وسماء في حي الروضة بالقاهرة قضيت اجمل اوقات ونعمت بعلم الدكتور وادبه وموهبة قرينته الفنية في المقالة والقصة والرواية ، ولكم ضمتنا في قاهرة المعز موائد الادب ، وندوات الشعر في رابطة الادب الحديث ، والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، والمؤتمرات الادبية وكان معي في تلك الندوات كوكبة من اعلام الكتابة والشعر يمثلون الوطن العربي الكبير من محيطه الى خليجه .

لقد كتبت السيدة وداد المقالات الضافية عن فلسطين وشواعرها وفي مقدمتهن الشاعرة فدوى طوقان ، وكتبت مقدمة للمجموعة القصصية « النافذة المغلقة » للقاص الفلسطيني يوسف جاد الحق . والف الدكتور المحاسني كتابه « ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب » الذي نشر في القاهرة لاول مرة سنة ١٩٥٥ ثم اعيد طبعه للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « طوقان شاعر فلسطين في حياته وشعره » والكتاب ينطق بما بذل كاتبه من جهد ، وما لاقى من نصب ، اذ جعله من اربعة فصول تناول في اولها حياة الشاعر وفي ثانيها الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في فلسطين في زمن الشاعر وفي ثالثها شعر الشاعر ، وفي رابعها دراسة المختار من شعر الشاعر ، وفي رابعها دراسة المختار من شعر الشاعر في الاغراض المختلفة ويملي علينا النقد النزيه ان ننوه بجهد الباحث وهو يجمع شتات اخبار الشاعر ويلملم اطراف الاحاديث عن اطوار حياته ، ويجمع ما تناثر من شعره ، ويقف وقفة الدارس المفسر والمحلل لروائعه ، ويوازن بين شعره ، وشعر ابي القاسم الشابي وغيره من معاصريه في اسلوب جزل ، ونسج متين ، وذوق سام ، ولست ادري لماذا اغفل النقاد والدارسون الذين كتبوا عن الفقيد كتابه عن ابراهيم طوقان مع انه جيد ومادته دسمة ، والجهد الذي بذل فيه شاق ، ومع انه الكتاب الثاني عن ابراهيم طوقان بعد كتاب الدكتور عمر فروخ « شاعران معاصران » ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي الذي طبع في بيروت سنة ١٩٥٤ اما الكتاب الاول فهو الكتيب الذي كتبته فدوى تحت عنوان « اخي ابراهيم » ونشرته المكتبة العصرية في يافا سنة ١٩٤٦ في سلسلة كتيبات تحمل عنوان « الثقافة العامة » ثم جعلته المقدمة لديوان ابراهيم حين نشر لاول مرة في بيروت سنة ١٩٥٥ .

ولقد أثرى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من آثاره المطبوعة في الدراسات الادبية والتاريخية وتحقيق التراث ومن هذه الآثار « النواسي شاعر من عبقر » ، « وابو العلاء ناقد المجتمع » ، « وشعر الحرب في أدب العرب » ، « ونظرات في أدبنا المعاصر » وهو الكتاب الثاني والخمسون من المكتبة الثقافية التي اصدرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة وتاريخ نشره يناير سنة ١٩٦٢ ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور احمد أمين ، والادب الديني ولن تتسع هذه الكلمة لنسلط أشعة النقد على هذه الآثار ، ولكننا نرجو في مستقبل الايام ان نتناول جوانب عبقرية المحاسني الفذة ، وموهبته الفنية ، ومنافذ طاقته في النثر والشعر والدراسة والتحليل . وآراءه في قضايا الادب والنقد ،

ولقد كان الفقيد قاضيا عادلا لا يصدر حكمه الا بعد ان تتوافر الادلة على صوابه ، وليس من ريب في ان دراسته في كلية الحقوق في الجامعة السورية ، وحصوله على الليسانس ساعدت على تمحيص قضاياه ، والتأني في اصدار الاحكام عليها .

والمحاسني شاعر ينظم الدرر ، ويبدع القصيد ، ويعبر عن خلجات قلبه ، وهمسات روحه وآمال أمته في شعر عذب الموسيقى حلو النغم ، وقد تناثرت قصائده في المجلات الادبية التي كانت تصدر في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد والرياض ، وكانت مجلة « الاديب » الغراء هي الاثيرة لديه يخصها بنفثات قلبه ، ولاعجات صدره ، وفرائد شعره وكان لمنشئها المجاهد الاستاذ البير أديب في نفس الفقيد أسمى مكانة ، واعلى منزلة ولطالما نوه بمكانة « الاديب » في العالم العربي ، وكفاح منشئها وجهاده المستمر من أجل استمرار اصدارها على الرغم مما يلقى من عناء ومشقة ، وما يكابد من أهوال ومؤلمات ، وآخر ما عرفناه من نظمه الملحمة العربية التي نشر منها عددا من الاناشيد صور فيها البطولات الاسلامية في صدر الاسلام .

ولعل وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية تقدم للقراء في الوطن العربي ديوان المحاسني بعد ان تجمع ما تناثر من شعره ، وتنسق القصائد والمقطعات وبذلك تسدى الى بنت عدنان مأثرة من المآثر التي تذكر فتشكر ومن شعر المحاسني هذه الابيات من قصيدة عنوانها « دنيانا » :

وردت الدنى كالضيف ملء تحيتي	سلام لاهليها الاحبة في اللقيا
اذا قيل اعدائي فاين عداوتي	تنازلت عنها لا أريد لها بقيا
ألملم اكناف الصداقات انها	بلاسم للجرح الذي أبدا يدوى
اذا فر غيري من اليم وجدتني	ألازمه حتى أجنبه السلوى
فمن حقنا في العيش بؤس ونعمة	ومن دأبنا ان نستطيب وان ناسى
وما قيمة اللذات ان لم يكن لها	كؤوس من الاحزان تملؤها نجوى
تقبلت دنيا لا بجبر ولا رضا	أعيش بها لا أبتغي عندها شكوى

والمحاسني باحث ذو نظرات صائبة ، وآراء قيمة في الادب والنقد وله آراء خالف فيها النقاد والدارسين داعما آراءه بالبراهين والادلة التي حاول ان يقنع بها قراءه ومن الامثلة رايه في الملحمة اذ يرى ان كل شعر طال او قصر وفيه وصف للمعارك وسرد لاخبار البطولة ، ورواية لملاحم القتال هو من شعر الملاحم ، ويعد الشعر الجاهلي الذي نظمه قائلوه في أيام العرب ملحمة كبرى . وفي كتابيه « شعر الحرب في أدب العرب » و « نظرات في أدبنا المعاصر » طائفة من هذه الآراء أشار اليها عدد من الدارسين الذين ترجموا له ، وتناولوا مؤلفاته ومن بينهم صديقنا الشاعر الناثر البحاثة العالم الاديب الاستاذ محمد عبد الغني حسن صاحب المؤلفات والابحاث العديدة في الدراسات الادبية والتاريخية والتراجم والسير . والدكتور عبد الوهاب عزام ، والمرحوم الاستاذ سامي الكيالي مؤلف كتاب الادب العربي المعاصر في سورية والذي ترجم للفقيد فيه وأورد نموذجا من شعره .

وكتاب « نظرات في أدبنا المعاصر » دليل صدق على ثقافة المحاسني الواسعة وعلى مدى احاطته بالادب العربي في العصور المختلفة ، ومن الموضوعات التي تناولها في الكتاب الادب الحديث ـ جماعة ابولو ـ ادب القصة ـ الادب المسرحي ـ الترجمة ـ تحقيق المخطوطات ـ المقالة وتطورها في الادب المعاصر ـ رسالة الادب المعاصر . ولم ينس كارثة فلسطين وأثرها في الادب ، كما لم يغفل ما طلع به علينا من يزعمون انهم ينظمون الشعر الحر ، وما هو بالشعر وما هو بالحر ، ولكنه ألفاظ رصفت وكلمات كتبت لا تمت للشعر بسبب يقول في أدب ما بعد الحرب الثانية « ولكنني أجد النكبة الفلسطينية قد أثرت في الشعور العربي ، وخلقت جوا جديدا من الشعور الوطني الثائر والباكي على تشرد القسم الاكبر من الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ولكن هذه الثورة في الشعر الحديث كانت تعبيرا عن الامل الكبير في العودة الى الارض المغتصبة ، ولن تهدأ هذه التباريح الا برجعة الحق الصراح الى اهله » .

وان هذه النكبة التي كانت منها نقطة الانطلاق في تحرير مصر وبعض البلاد العربية من رواسب الاستعمار وطغيان اعوانه لجديرة بملحمة يبدعها أحد شعراء النكبة، او الذين في مكنتهم وضعها واعدادها لتصور الهول والغدر اللذين توسلت بهما الصهيونية الباغية لتشريد الآمنين في بلادهم تحت كل سماء ، وقد فاتها أنهم عائدون . ويقول في الشعراء المحدثين « ما كان لادب العرب في زمن من أزمانه ان يعيش خلوا من سدنة هيكله ورعاة عهده فان شيوخا في الجمهورية العربية المتحدة وفي لبنان والعراق وديار المغرب ما زالوا حماة ذلك الهيكل ، غير ان فريقا من الشبان ظهرت مخايل نبوغهم مبكرة فأقبلوا بشعرهم ليصلوه بآثار سابقيهم . وانفلت منهم معشر جاءوا بضرب من الشعر سموه جديدا وحين ينظر فيه الناقد لا يجد من جدته سوى تصفيف كلماته فبدلا من وضع الشعر الموزون المقفى وضع الاشطر في الابيات المتعاقبة اخذ هؤلاء الشعراء يقسمون الشطر الواحد في ثلاث كلمات تكون الواحدة خلف الاخرى ، او يجيئون به غير موزون ولا مقفى فيكون ضربا من النثر وليس كما يتوهمون ، وقد شجعت هذه الحركة بعض الصحف والمجلات تبتغي شق الطريق أمام الناشئين فكان ان حدث ارتباك في أدب الفترة الاخيرة وحار الناس فيما يعاينون من شعر جديد فاذا قصد الشعر الجديد ان يبرأ من قيود التقليد فلا ينبغي له ان يتنكر للوزن والموسيقى» .

ويقول عن رسالة الادب المعاصر « من رسالة الادب المعاصر دراسة الفكرة الانسانية ، وابرازها في آثار

عين بعين

صفـاء الحيدري

بغـداد ـ العراق

بـين بـين
بين أن تحيا ، وأن تغمض عين
عشت مشدودا بأين
لـم تسدد أي ديـن

ومشت عبر سمات الأمس . فوق الوجنتين
عجلات القمر الموحش والشمس اللذين
تركـا مثـل خطوط الراحتين
تقرأ الماضي عليها .. وغدا .. ليس بعين

وشهيـدا دون مـين
لـم تعـد تذكر أيـن
بدأ القلب يعاني من جفاف المقلتين
مـن عناقي غربتين
غربـة الروح ، وتلويح يد .. ساعة بين

ان تكن تثأر فالعين بعين
ولديك اليوم من كل اثنتين
قصة يحبسها في الشفتين
واقع الذات ... وتفريغ اليدين

الادب ، والفكرة الانسانية هي الغوص على معاني الحياة البشرية في مواجعها وسعادتها » .

« ومن رسالة الادب المعاصر أن يعـرف الشعب حقيقة ادبائه خاصة كما يعرف المرء أخاه وأهله ، وكـأي من أديب او شاعر يعيش في عصرنا وكانـه في نطاق ضيق من السدود والحدود لا يعرف عنـه قراؤه شيئـا سوى آثاره الفكرية والادبية فهو لم يكتب لقرائه تاريخ حياتـه كما هي ، ولم يعطهم نفسه كما أعطوه أنفسهم ، ومـن رسالة الادب أن يكون هادفا يرمي به صاحبه صوب غاية فالاديب الضال والكاتب الحائر في مهب الريح لا يستطيع ان ينعم بطيب الحريـة ولا تكـون لـه شخصية مميـزة وهدف معروف يرمي اليه » .

وبعد فان فجيعتنا بالفقيد مروعة ، وفجيعة الادب به فادحة ، وما كان فقده فجيعة لاسرتـه واحبائه بـل فجيعة اللغة العربية التـي نعشقها وعـرف أسرارهـا وسحرته بلاغتها حيث كان أبو الطيب المتنبي وابو العلاء المعري أحب شاعرين الى نفسه ، وكان دائما في مجالسه يتمثل بأبيات للمتنبي ويحسن الاستشهاد على ما يريد.

ويرى فيه شاعر العرب الذي لا يدانى .

وكان فقده فجيعة لامتـه العربية المجيدة التـي طالما تغنى بمجدها الغابر ، وحضارتها الماضية يوم كانت تفرض ارادتها على الدهر وتملي رغبتها عـلى الورى . وتحمل ألوية الحق والعدل والرحمة الى كـل مـن فـي الدنيـا .

كان المحاسني نجما ساطعا في سماء الادب فهوى ، وكوكبا متألقا في أفق الفكر فأفل وبلبلا مغردا على دوحة العروبة فصمت ، وشعلة متوهجة فخبت . يـا صديقي يا أبا ذكوان نم في جنات الخلد قرير العين فلقـد اديت رسالتك لامتك على خير وجه ، ونافحت عن لغة القرآن أعظم منافحة أمام هجمات اعدائها ، وحملات خصومهـا ودافعت عن تراثنا الغالي دفـاع الابطال ، ولئـن غيب الموت شخصك عن انظارنا فستظل حيا خالدا في نفوسنا ونفوس قرائك ما بقيت آثارك الفكرية مشاعـل تضيء ، ومصابيح تهدي .

مصر الجديدة — كامل السوافيري



وحيد الدين بهاء الدين

الوجه الادبي لروكس العزيزي

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

اسم على مسمى ... ذلك هو روكس بن زائد العزيزي .

من فضلاء ادباء العرب المعاصرين وممن يحترمون انفسهم وقراءهم ويحرصون على الاستنارة بعقائدهم الذاتية في اداء وظائفهم الفكرية ويؤثرون الى حد متناه جانب الصدق والنزاهة في ما يسوقون ويقولون .. وفي ما ينشرون ويكتبون ، ولو نجمت عن ذلك كله نتائج غير محمودة العقبى بالنسبة اليه . حيث يقول : « انه يعتقد ان الاديب الحق لا يكتب الا ما يعتقده حقا وصدقا . وهو بالتالي لا يخاف ولا يتذبذب . والذي يقول الحق لا يراوغ ولا يمكن ان يندم على قولة الحق وما يعرف نفسه ندم على مقال كتبه وان كان قد قسا فيما كتبه احيانا » .

من خلال رحلة طويلة الامد في الانتاج المخصب .. المتنوع الذي رفد العزيزي به الثقافة العربية عبر نصف قرن يظل الوجه الادبي له هو اكثر وضوحا من اي شيء اخر وادنى الى الفكر والشعور واولى باكتراث الباحث الدارس ..

هذا الوجه الادبي للعزيزي بكل معناه وواقعه ... ابعاده واصدائه ، تتناصر على تحديده ملامح ، لا بد من القاء الانوار الكشافة عليها والوقوف عندها ولو بعض الشيء :

ـ ايمانه بالادب سبيلا الى الاصلاح ووسيلة في تصوير الحياة والحقائق والذب عن المثل الانسانية ..

ـ اصالة مؤلفاته وابحاثه وارتباطها بالواقع الذاتي وبالواقع القومي والوطني وبالواقع الانساني .

للادب مهمات عسيرة وكثيرة ، ولاسيما في هذا العصر الذي آيته تناقضات حضارية وحساسيات متزايدة حتى لتلقي المرء في احضان دوامة مهلكة .

واذا كان من مهمات الادب امتاع النفس وايقاظ العقل كما يقال ، فانه في معركة الوجود وتقرير المصير ، سلاح بتار يشهر لمنافحة الظلم والاستعباد ومناهضة المفهومات الجائرة والمثبطات الاجتماعية الخطيرة .. فما كانت الثورات والانتفاضات تلك التي شهدتها البشرية في تاريخها القديم والحديث واهتزت لها المدنيات ، وانهارت بعنفها الحكومات وتغايرت ايام زحفها القيم والمقاييس السائدة الا حصيلة الادب ودور الادباء الايجابي المباشر وغير المباشر من حيث التمهيد لها وتفجيرها ، بتصوير الحقائق المرة والمآسي المفجعة والتركيز على قضايا معينة بغية تعبئة الجماهير نفسيا وفكريا .

ان العزيزي مؤمن بالادب وبوظيفته الكبيرة الى اقصى اماد الايمان ، لولا هذا لما قال : « انا اعتقد ان الادب هو السبيل الى الاصلاح لان ما تفسده السياسة يصلحه الادب .. » .

من هنا يوضح بان للادب دورا قياديا وتأثيرا ايجابيا في توجيه مسيرة الجماهير وتسديد تطلعاتها ، وبان ما سلف من انتفاضات وحدوث تحولات مرده الى مواقف الادباء والمفكرين ومواقعهم في النضال . ها هو ذا يقول : « انه في كل الانتفاضات التاريخية في العالم كان للادباء والمفكرين الدور الاول في التوجيه . اما عندنا فان الفكر السياسي والادبي لم يتخذا الطابع التوجيهي كما شاهدنا ذلك عند « فخت » في الفكر السياسي الالماني وعند سيس ومنتسكيو وروسو عند الفرنسيين وعند هوبزولوك عند البريطانيين .. » .

من هذه الزاوية يتهم العزيزي الادب العربي بالقصور لافتقاده القدرة على التوجيه والقيادة . اسمعه : « ولكن التوجيه عندنا على ما اعتقد من الشعب نفسه فجاء الادباء يسجلون ذلك في ادبهم فكان دور الادب عندنا دور المؤرخ والمسجل ليس غير .. » .

صحيح ان الشعب في الشرق العربي هو خالق الادب واسبابه . معناه : ادبنا سجل يؤرخ الاحداث ويسرد الحكايات والطرائف ويرصد التيارات والاتجاهات ، لانه لا يسهم في عملية النقد والبناء ، وتلك امارة من امارات عجزه وقصوره ... هذا فرق ظاهر وخطير بين الادب الغربي الموجه والادب العربي المسجل .. طبيعي ان تتحقق مآثر جمة ودائمة من ادب يتولى التوجيه والتركيز في الوقت الذي يتحقق افلاس حضاري من ادب يضطلع بمهمة النقل والرواية .. شتان بين الاثنين ..؟!

أليس هذا تخلفا بالمعنى الصحيح .. ؟

ففيه تكمن مأساة الفكر والادب عندنا ...

غير ان العزيزي يتخطى هذا الحد الى ما هو ابعد

افقا واعمق مضمونا ... ينحي باللائمة على الادب العربي لتأخره عن مواكبة الاداب العالمية في مواجهة الاحداث والارتقاء الى مستواها باصرار واحساس بينما هو يشهد سقوط الانسان العربي في حضارة الالة . هكذا يعلو صراخه : « انجع الوسائل لرفع مستوى الادب وتشجيع الادباء حتى يتسنى لهذا الادب وهؤلاء الادباء خدمة القضية العربية هو ان يحاول الادباء انفسهم ان يرتفعوا بمستوى ادبهم عن التهريج واقتناص الشهرة على حساب الادب » .

اما متى يدرك الادب العربي حالة الادب الغربي في عالميته وعبقريته .. وفي تدفقه وتجدده ، ومتى ينزع الادب العربي عنه ثوب التهريج والتقليد والكساد فان العزيزي لا يتردد في التعقيب على ذلك بامانة : « اما ان يصبح ادبنا عالميا خالدا فهذا يرجع ايضا الى عدم التعجل في نيل الشهرة الى ان يتمكن الاديب من انتاج الادب العميق . صحيح ان الادب عندنا في كساد لكن على رغم ذلك الكساد فان الادب الخصب سيصبح عالميا في احد الايام .. » . كذلك يصدق القول بهذا الشأن : « ان الادب الذي لا يصور نفوسنا ، وحياتنا ولا يسمو بحياتنا عن التزلف والتملق والرق الاجتماعي والوصولية الخسيسة ، ليس من الادب في شيء وبالتالي فاني ارى ان الادب الذي لا تتسع افاقه فينحو نحوا انسانيا انما هو اهدار للمواهب وتحطيم للشخصية الانسانية » .

مهما يكن فان حب العزيزي للادب وايمانه العميق برسالته في تنوير الاجيال الصاعدة ، جعله يعد كتابا ليكون مشكاة على درب النشء الجديد سماه « المنهل في تاريخ الادب العربي » واصدره في ثلاثة اجزاء سالكا في تأليفه طريقة اشبه ما تكون جديدة من حيث عرض مادة البحث ونقد النصوص التاريخية والنماذج الادبية وتحليلها ومقارنتها استخراجا لما يحويها من الخصائص الفنية واللمحات الفكرية والمعاني الرفيعة ..

فالطريقة المعمول بها على اوسع نطاق في تفسير القضايا الادبية ومشكلاتها علميا ووجدانيا تعتمد نقد النصوص اساسا وطريقا الى ما يراد .

ولئن اتسم كتاب « المنهل في تاريخ الادب العربي » بالجودة فيالتأليف والنبل في القصد فان خصوم العزيزي تصدوا له والبوا السلطة على كتابه هذا بحجة انه يقدح في الدين والعروبة .

لكن العزيزي ثبت امام الاتهامات بجراة يدرا عما امن به من شرف الكلمة المضيئة وعما اعتنقه من عقيدة فكرية لا يهون التخلي عنها حتى ولو تخلى عن حياته ..

وكان انتصار العزيزي على خصومه شيئا رائعا ..

ارتد المهرجون المشاغبون على اعقابهم يشيعهم ظلام الخسران والاخفاق . وارتفع صوت العزيزي عاليا يقرع الاذان : « ان الحملة الفاشلة التي شنها بعض اصحاب الاغراض المسمومة — وفي طليعتهم بعض اخواننا النصارى — على هذا الجزء من سلسلة كتابنا — يريد به الثاني — قد باءت بالفشل ولم تزدنا الا ايمانا بامتنا وتصميما على خدمة هذه اللغة التي شرف الله ذكرها معتمدين على الله وعلى غيرة اصحاب النفوس العالية والضمائر الحية الذين يزنون الامور بروح العلم والتجرد والانصاف .. » .

كما ان العامل الذاتي الذي حداه على الافصاح عن التراث العربي والاسلامي وغرس القيم الفاضلةوايجاد المناخ العلمي لدى الجيل الطالع ليدرك ان ادب الدرس ينبغي ان يكون قرين ادب النفس ، هو عين العامل الذي دعاه لوضع كتابه الاخر « الزنابق » في سبعة اجزاء .

يحمل هذا الكتاب الضخم بين تضاعيفه ذلك الفحوى القومي والانساني توطئة لاعداد الناشئة لحياة مشحونة باحتكاك وصراع في ميادين العلم والفن والفكر واثباتا للوجود الشخصي . لذا قال رضوان ابراهيم : « روكس بن زائد العزيزي معلم عربي قديم واديب باحث ذواقة وقلما تجتمع في علمنا العربي هاتان الخاصيتان فما زال المعلم عندنا صاحب حرفة يزاولها من اجل العيش وهو في هذه يحاول جهده ليبعد مشاعره وعواطفه وينزع حاسته الفنية ينحيها جانبا كي لا تعق فيه آلية العمل الكادح المتواصل الذي يسعى به لاهثا .. » .

تطرق العزيزي في انتاجه الى الالوان الادبية المتعددة : كاللغة والفكر . القصة والمسرحية . البحث والنقد ، ثم الدراسة الادبية والتاريخية حتى السياسية كما تمثل ذلك في كتابه « تطور حقوق الانسان » ..

لقد برزت شخصية العزيزي في معظم انتاجهبجميع مقوماتها ، حتى كان انتاجه هذا جزءا من كيانه ومرآة لمجمل ارائه وخطراته طوال جهاده الفكري والادبي ..

ذلك ان الاديب مهما حاول اقامة حاجز بين ذاتيته وبين انتاجه ولو تحت ستار من الفن فانه كثيرا ما يصاب بخيبة ، فقد يستحيل عليه التحرر المطلق من رواسب الذات واهوائها وتداعي العقل وتياراته .

من اجل هذا يتعذر عند دراسة اديب ما او شاعر ما او فنان ما ، فصل حياته بكل اصدائها وتناقضاتها عن انتاجه المتأثر بها سلبا او ايجابا لما بينهما من صلات عضوية غير منظورة ..

واصالة مؤلفات العزيزي متأتية من كونها ذات جدة. قامت على اساس من منطلقات غير مسبوقة او من استشرافها افاقا غير مطروقة ككتابيه : (فريسة ابي ماضي . وتطور حقوق الانسان) ..

ملاحظ ان الجديد او التجديد ليس هو الاتيان بشيء غير معروف لدى الناس . هل ثمة شيء من لا شيء؟ اذا كان قرر بعض نقاد فرنسة ان قانون الفن هو التعبير فان الاخرين يقررون ان قانون التجديد هو الصدق في التعبير وفي التصوير .. الصدق في طريقة الاداء وتناول الفكرة مع اضفاء الروح الذاتية على الموضوع كيما يبدو كما لو كان جديدا بكليته : شكلا ومضمونا ..

لقد وضع العزيزي كتابا اطلق عليه « فريسة ابي ماضي » ، مما اثار حين صدوره ضجة مدوية في العالم العربي والمهجر ..

انما تناول فيه الشعر عند البدو وقوامه واوزانه وعناصره واثره في ادبنا المعاصر كما عرج على الشاعر البدوي الشهير علي الرميثي محللا قصائده الثلاث : شيخة القصيد .. مرثاة زوجته .. القصيدة الرميثية ، والاخيرة هي التي سطا عليها : معنى وفكرا ، الشاعر المهجري ايليا ابو ماضي وضمنها قصيدته « الطين » .

فضح العزيزي ابا ماضي فضيحة صاعقة مدمرة بكل اسباب الموضوعية والتجرد وقوة الاقناع والبرهان .

وتحرج موقف ابي ماضي ؟! .. وما الذي حدث . ؟

بديل ان ينزل ايليا ابو ماضي الى ميدان النقد ليقارع العزيزي حجة بحجة ويرد عنه الاتهامات ، وقف يسوق اليه سيلا هدارا من الشتائم والسباب ، معترفا – ولو ضمنا – بفعلته ، شاهدا على نفسه كما لو كان (مريبا يكاد يقول خذوني ..) هنا تناهى صوت الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي جهيرا وهو يخاطب العزيزي : « لقد مزقت شهرته وكشفت عن نفسه بمصباحك الكشاف . فاذا رأيته بعد ذلك يحاول رفع تجريمك المكين له بالشتم فاعذر الرجل ودع الغريق يتشبث بالقشة للخلاص او يمسك بالثعبان للنجدة . فما قامت حجة بقذف ولا نفع دفاع بسب ولا اقتل لمثله الا الصمت بعد ان ركزت في رؤوس البصراء حججك الدامغة » .

وطالما ذكرني هذا بشيء آخر ..

فقد اثبت الدكتور احسان عباس في مقال له في صحيفة « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية ان ايليا ابا ماضي يتفق في غير قليل من المعاني التي طرقها والافكار التي عالجها والمقاصد التي توخاها الشاعر الايرلندي : ييتس في روايته الشعرية : « عتبة الملك .. » .

من هنا كان التساؤل والشك في عمل ابي ماضي حتى استحال يقينا بالرغم من الاختلاف النسبي الذي افتعله ابو ماضي هنا وهناك تغطية لفضيحة السطو على جهود الاخرين (1) ..

وفي تعليق لعبد المسيح حداد صاحب صحيفة « السائح » مضى يقول : « وكل ما يمكننا قوله هو انا نأسف كما قال الاستاذ مارون عبود في لبنان لفجيعة الادب به – الضمير راجع الى ابي ماضي – بعد ما تكشفت سرقاته من موارد الشعر الانكليزي .. » .

لا شك ان حقوق الانسان قد تطورت الى درجة بعيدة منذ عرفت واقرت ..

سلطت حقوق الانسان الضوء الوضاح على الحريات كافة ، منها حرية الفكر والتفكير وحرية المعتقد والدين والايمان ..

لكن هاتيك الحقوق تكاد تكون حبرا على ورق او شعارا زائفا مزيفا . لا يقام لها وزن ولا تعار لها اهمية بالرغم من فاعليتها في تحقيق كثير من الانجازات والمطاليب في مضامير السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع ..

كل ذلك بسبب من تألب قوى الشر والبغي على قوى الخير والسلام في عالم مترجرج متناقض تحاول فيه الامبريالية والصهيونية والاستعمار ، السيطرة عليه لاذلاله وادارته كيفما يشاء بالحديد والنار ولو كان ذلك تحت اسماء مستعارة براقة . ترى ماذا يقول العزيزي : « هؤلاء الذين يتجاهلون ان المبادىء التي يذيعها الاعلان العالمي لحقوق الانسان غنية منذ اقرارها بتراث انساني عظيم تدعمه تجارب تنطوي على اعظم القيم الانسانية التي كتبت بدماء الضحايا لا سبيل الى حصرها ، اريقت على مذبح المثل الاعلى . ان الذين يتجاهلون ذلك كله مجرمون بحق العدل والعقل والاخوة الانسانية .. » ..

اما كتابه « الامام علي : اسد الاسلام » وان لم يكن جديدا بالمعنى الصحيح فانه عولج من منطلق ذاتي فريد .. لننظر اليه كيف يستهل الكلام : « احببت الامام علي كرم الله وجهه من اليوم الذي قرات فيه سيرته الخصبة وحياته النبيلة . وقد كنت احس بان انقسام الناس فيه دليل على العظمة .. وكم كنت اود ان اسجل انطباعاتي عنه فأتهيب كالذي يريد ان يخوض البحر وهو يرى البحر للمرة الاولى في حياته .. او كالذي يحاول ان يحلق في الجو وهو يجهل الطيران .. هذا هو الشعور الذي كان يخامرني كلما مددت يدي الى القلم .. » .

ثم لنسمع كيف انتهى الى ما يروم : « ابا الحسن .. ايها الامام العظيم . هذه انطباعات كانت تجول في خاطري نحوك من زمن بعيد .. حاولت ان اصور فيها نفسك الكبيرة . شجاعتك وعلمك .. سخاءك وجودك .. كتبت ما اشعر به انه حق واعتمدت على المراجع التي وثقت بها ، ولا اقول اني اطلعت على ما كتب عنك لانه شيء كثير وكثير .. فان نالت منك القبول يا ايها الامام العظيم فحسبي ذلك .. انها كلمة لم يعوزها الاخلاص ويقينا ان الكلمة التي تخرج من القلب لن تجد مستقرا لها الا القلب .. » .

ثم بعد هذا كله تتأتى اصالة مؤلفات العزيزي وابحاثه من ارتباطها بالواقع الذاتي تارة ككتبه : « المنهل في تاريخ الادب العربي والزنابق وطنية خالدة وازاهير الصحراء » وبالواقع القومي والوطني تارة اخرى ككتبه : « سدنة التراث العربي والخلاصة التاريخية والاردن في التاريخ » وبالواقع الانساني تارة ثالثة ككتبه : « تطور حقوق الانسان وشاعر الانسانية – يريد به الدكتور احمد زكي ابو شادي – والارض اولا ومحاضرات العزيزي في هيئة الامم وما الى ذلك . حتى قال عنه جعفر الخليلي : « اديب متتبع يكتب في مختلف المواضيع ويختار لما يكتب ابلغ العبارات ، وادلها على المقصود .. » . اما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فكتب عنه في كتابه « من تاريخنا المعاصر » قائلا : « اديب جليل وباحث ذائع الصيت ومؤلف مجيد وناقد ممتاز يعد في الطليعة من زعماء الفكر العربي . وكتاباته ودراساته تنم عن شخصية ممتازة وملكة موهوبة اصيلة .. » .

وحيد الدين بهاء الدين **بغداد – الاعظمية**

(1) – ص ٥ – ٦ الشهر العاشر ١٩٦٨

جنون الشهرة

★

أأبذل جهد الجن في الامس واليوم   واحرق أعصابي لانبه في قومي

يعذبني حب اشتهاري في الورى   فأسمو لآمال يضيق بها عزمي

وأحلم بالصيت البعيد مدويا   وتمضي الليالي لا أفيق من الحلم

واذا حدثوا عن عالم متضلع   أقول متى تجري الاحاديث عن علمي

وأزعم أن الحظ آثر فرقتي   فلم يتألق في سماء الورى نجمي

اؤرق نفسي كي أخط مقالة   يطالعها القراء ممهورة باسمي

وأسأل من لاقيت عنها فان يفه   حصيف بنقد ما توهمته خصمي

وان قال لم اقرأ لبعض شواغلي   ذممت سجاياه فأسرفت في الذم

أطالب قرائي بحفظ روائعي   وأعتد تقديري من اللازم الحتم

وأعمد للاشعار أنظم عقدها   لأغدو أمير القول في النثر والنظم

يقولون الهام القريض سوانح   تطير كلمح البرق في صفحة الغيم

ولكن الهامي يواكب خاطري   متى شئت قلت الشعر كالغيث اذ يهمي

أفسر في أعماق نفسي طلاسما   تدق خوافيها فيكشفها فهمي

خوالج احساس تتبعت نبضها   خفوت السرى في عالم الدم واللحم

أنمق منها كل عصماء أطفأت   مثيلاتها في الرائعات من العصم

وأحسب أن الكون يصغي لشدوها   فيثمله سكر القريض بلا اثم

جماهير قراء أحاول عدهم   فلا تنهض الارقام بالعدد الضخم

تخيلت جمعا منهمو مترقبا   محياي يعتد اللقاء من الغنم

يلاحقني أني مضيت كأنما   أسير من الاشياع في موكب فخم

ويرجع لي عقلي فأدرك واقعي   وحيدا أعاني الصمت في منزلي الجهم

فأين قوافي الجياد أهكذا ؟   تضيع أغاريدي لدى معشر صم

وأسأل نفسي اذ أحلل موقفي   لأي اعتبار طاش في ملئي سهمي

أعيب اذا رمت النباهة عندهم   فانبذ مجنيا علي بلا جرم

وللموت أشهى من حياة بغيضة   يظل بها العملاق يقرن بالقزم

ويدفعني حب اشتهاري للتي   ستعطف بالابصار نحوي على الرغم

فأحتقر المألوف من عادة الورى   وأنحى عليهم بالنقيصة والثلم

وأمتد للاديان أنقد نهجها   وأبرز ما يوحي التخرص من وهم

وأزعم أن الحق في الكون قبلتي   أسانده مهما تحرش بي قومي

وما بي حب الحق غير هواتف   تخيل لي صيتا بآفكة الزعم

وقبلي من الباغين قوم تسلقوا   ذرا المجد فينا بالتهجم والشتم

الرياض ــ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

قصة

طلاق

بقلم غبريال وهبه

القصة الفائزة بالجائزة الاولى من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالاشتراك مع نادي القصة بالقاهرة وبالميدالية الذهبية المهداة من عميد الادب العربي الدكتور طه حسين .

★

لا شك ان المراة المناسبة لرجل معين موجودة ... ولكن اين الفرص التي تتيح له انتقاءها من بين الملايين .. ان الانسان لا يمكنه ان يوثق علاقته الا بعدد محدود من الناس .. فما بالك اذا كان الكثيرون في مجتمعنا لا يزالون ينظرون الى الصداقة بين الجنسين بمنظار اسود !! ولذا كان من النادر ان يلتقي الرجل المناسب بالمراة المناسبة ... هكذا تقول ابسط قواعد الحساب والاحصاء .

ولا ريب ان الزواج تجربة كغيرها من تجارب الحياة قد يتعرض للفشل ... ولهذا انشئت محاكم الاحوال الشخصية .

كانت هذه الخواطر تلح على ذهن جورج حنا ... وها هوذا يحدث نفسه قائلا :

ـ ان التنافر واختلاف الامزجة قد يعد سببا كافيا للطلاق في كثير من انحاء العالم ، ولكن في ديننا ـ نحن الاقباط الكاثوليك ـ الطلاق محرم ... ويظل الرجل مرتبطا بزوجته رباطا ابديا لا يفصله عنها الا الموت .

ان المقت والكراهية بين جورج وزوجته قد اوصلت الرجل الى حالة عقلية جعلته يقرر التخلص من امراته باية طريقة . لو كان رجلا فقيرا لهرب منها ... ولكنه ميسور الحال ... وليس من السهل عليه ان يتخلى عن عمله ... فهو تاجر مرموق من تجار حي معروف ، يمتلك متجرا كبيرا لقطع غيار السيارات .. فكيف يترك كل هذا وينجو بجلده هربا من التعاسة والشقاء في حياته الزوجية ؟؟ ..

ان العقل اذا تسلط عليه موضوع معين يلح عليه اناء الليل واطراف النهار ... ويعصف به عصفا .. فلا احد يمكنه التنبؤ بالاغوار السحيقة التي قد يصل اليها في تفكيره ... فمخ الانسان عضو مكون من عشرة آلاف مليون خلية عصبية ... انه آلة دقيقة معقدة التركيب قد يختل اتزانها . وها هم اولاء اصدقاء جورج قد لاحظوا عليه في الآونة الاخيرة ، تشوش عقله وارتباك تفكيره ... غير ان احدا منهم لم يدر بخلده كنه الحادث المؤلم الذي ترك اثره العميق في حياته .. لقد قص عليه « انور » ابن شقيق زوجته المتوفي ، انها ذهبت الى احدى الصيدليات ، وناولها الصيدلي مفتاحا ، فصعدت الى طابق علوي بالعمارة ، وفتحت احدى الشقق ... وعندما حان وقت الظهيرة اقبل الصيدلي ... وتناولا طعام الغداء معا ... وكان مكونا من كبدة مشوية ، وقد اعطاه الدكتور حلمي شطيرة منتفخة بالكبدة وتركه يلهو بباب الفريجيدير وقد اشبعه فتحا وغلقا ..

وفي براءة طفل الخامسة ، كاد يطير فرحا ، وهو يصف لزوج عمته المكنسة الكهربائية التي طلب منه الصيدلي ان يلعب بها داخل غرفة المكتب .. بعد ان اغلقها عليه فترة من الزمن ..

وفي اللحظة التي قرر فيها جورج حنا ، ان يقتل زوجته ، لم يكن من السهل ان يعرف المرء هل ما زال محتفظا بعقله او اصابته لوثة ؟ ... بيد ان الطريقة التي تفتق عنها ذهنه كانت لا تخلو من مكر ودهاء ... حتى تبدو الجريمة قضاء وقدرا ...

ان السيدة « ماتيلدا » تعلم جيدا مدى ضيق زوجها بوجودها ، الا انها كانت مثله عنيدة صلبة الرأي ... وما تضمره له من كراهية يفوق ما يحمله لها من مقت وبغض ... كانت نفسها تفيض مرارة وتقطر سما ... الم يكفه انه حرمها من عاطفة الامومة مصرا على ان العيب فيها ، رافضا عرض نفسه على اخصائي .. فرفضت بدورها ان تفحص طبيا . انها تطوي ضلوعها على جروح عميقة قتلت نفسها ... وسحقت قلبها ... غير ان كبرياءها جعلتها تكظم غيظها وتحبس غضبها في نفسها ان ينفجر ... وترد نفسها بالعنف عن الثورة العنيفة ... وتكرهها على الصبر والاحتمال ... فلم يحدث قط ان التحقت بخدمتها شغالة وافلتت من مغازلته لها ، او سلمت من يده المعربدة التي كانت تمتد الى محاسنها تتحسسها وتعبث بها . وقد علمت مؤخرا انه على علاقة بطبيبة المانية حسناء تدعى ريتا .. تعرف عليها من ترددها عليه لشراء قطع غيار لسيارتها الهانزا . وقد حضرت لزيارتهما في المنزل بضع مرات . ان زوجته اصبحت تحرص على الا يفوتها مرافقته الى كل مكان يذهب اليه ... وربما لم تكن فكرة القتل لتخطر له على بال ، لو لم تتشبث ماتيلدا ، وتصر على ملاحقته اينما ذهب ، وحيثما حل ... وها هو ذا يخبرها انه عزم

على قضاء شهر اغسطس في لبنان ، فسكتت ولم تعلق بشيء ... وانهمكت في اعداد حوائجها للرحلة ... ولم يبد اعتراضا هذه المرة على سفرها معه كما كان يفعل دائما ... ورحل الزوجان الى ضهور الشوير في صمت .

كان هناك فندق في اعلى الجبل . ان ارتفاع هذا المصيف يصل الى حوالي ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر ... وقد صعدت بهما السيارة مخترقة طريقا حلزونيا يلتف حول الجبل ... ما اجمل المنظر الذي تطل عليه شرفات الفندق ... ان اشجار الارز تضفي جوا ساحرا على المكان .

ان جورج حنا يعرف الفندق معرفة وثيقة ... وفي الايام السعيدة كان على دراية كبيرة بالبقع المجاورة ... اما في هذه الايام عندما نبتت في ذهنه فكرة القتل ... استحوذت على عقله بقعة معينة تبعد كيلومترا ونصف من الفندق ... وتطل على وادي البقاع ، ويحميها سور منخفض ومتهدم .

وها هو ذا ينهض من فراشه ذات يوم في ظلمة الليل بعد ان انفق ليلة ساهرة مملوءة بالشقاء ... كان كل شيء حوله هادئا ، وجثم على المكان سكون رهيب مرهق ... وعندما هبت نسمات الفجر ، ورق جلباب الظلام ، تسلل في حذر من الفندق وذهب الى تلك البقعة . لقد اسعفته ذاكرته واسهمت في خدمته ... وهمس لنفسه : انها نفس البقعة تماما . لم يكن هناك سكان بالقرب منها ... وكانت الاشجار العالية تخفي الفندق من بعيد ... اما الجبال في الناحية الاخرى من الوادي ، فكانت من البعد بحيث لا تتيح لاي مصطاف او عابر سبيل ان يرى ما يحدث في هذه البقعة . وهناك في اسفل الوادي لم يكن يرى سوى بعضا من بيوت الفلاحين ، وقد تناثرت وسط المروج والمراعي الخضراء ، وكانت تبدو كمجموعة من علب الثقاب .

كانت نظرة واحدة عبر السور المتهدم عند الحافة ، يرجف لها قلب اي زائر او سائح مهما كان قوي الاعصاب ... وتجعله يحبس انفاسه خوفا من ان تخونه قواه وهو يشرف من الذروة الشاهقة على الحضيض الاوهد .

قال الرجل لنفسه :

ــ ها هي ذي البقعة المنشودة .. وغدا صباحا ستحل ساعة الصفر .

لقد وضع جورج حنا خطة



غبريال وهبه

●

جريمته في قسوة وبرود وعدم مبالاة . لم ينبض في قلبه عرق من الرحمة او الشفقة نحو ضحيته التي لم تكن تدري شيئا مما يدبر لها في الخفاء ... ان الكراهية قد تغلغلت في اعماقه وقطعت معه شوطا بعيدا ..

وفي صباح اليوم التالي ، عندما فرغ من تناول طعام الافطار مع زوجته قال لها :

ــ انني اتوق لان اتريض في نزهة قصيرة في الجبال ... أفترغبين في مصاحبتي ؟

فأجابته باقتضاب :

ــ نعم .

فقال لها :

ــ حسن ... سوف اكون مستعدا في الساعة التاسعة .

فرددت وراءه قائلة :

ــ سوف اكون مستعدة في التاسعة .

وعندما حل الميعاد ... غادرا الفندق معا .. ذلك الفندق الذي سيعود اليه وحده بعد قليل ، سارا في طريقهما الى البقعة دون ان ينبس احدهما بكلمة للاخر . كان الطريق اليها معبدا .

وعندما وصلا الى المكان ، لم يكن في ذهن جورج خطة محددة لما اضمر في نفسه . لقد قرر ان يتصرف وفقا لما تقتضيه الظروف .. احس بخوف غريب يتطرق الى نفسه بين الفينة والاخرى ... فقد تتعلق به فتجذبه معها الى الهاوية . وها هو ذا يسأل نفسه في دهشة وعجب عما اذا كان احساسها قد الهمها بمصيرها ... وكان احد الاسباب التي منعته من التحدث اليها خوفه من اية رعشة قد يختلج بها صوته فتثير ريبتها . ولذا عزم على ان تتم فعلته بحذق ... وعلى حين غرة ... وبمنتهى السرعة والقوة ... حتى لا تجد فرصة سانحة لانقاذ نفسها او لجرجرته معها . اما عن صراخها المحتمل فلن يأبه له ... فهذه منطقة موحشة ... لم يكن بوسع احد ان يصل اليها الا من الفندق الذي لم يغادره اي من نزلائه في هذا الصباح .

حقا ما اغرب هذا ... فعندما اصبحت البقعة على مرمى البصر ... توقفت ماتيلدا وارتجفت . نظر اليها جورج بعينيه الضيقتين ... وتساءل مرة اخرى : ترى الديها اية ريبة او شك ؟؟ ... لا احد يدري

مدى الاتصال اللاشعوري بين عقلي شخصين يسيران بجوار بعضهما ... قد لا يكون هذا هو التلباثي ... او انتقال الافكار بدون وساطة اعضاء الحس المعروفة .

سألها في غلظة :

ــ هل انت متعبة ؟

فصاحت وهي تتنفس بصعوبة :

ــ جورج !

وكانت هذه اول مرة تناديه باسمه منذ بضع سنوات كانت لا تناديه خلالها الا بلفظ « انت » .

ثم اردفت :

ــ **ألا تعتقد انك اذا كنت قد عاملتني بلطف ورقة لتغيرت الامور بيننا عما هي الان ؟**

فأجابها :

ــ يبدو لي انه قد سبق السيف العزل ، وآن الاوان قد فات للتحدث في مثل هذا الموضوع .

ثم اردف وقد اعترت صوته رجفة :

ــ ان لدي الكثير مما آسف عليه .

ــ اذن هلا اخبرتني بما تندم عليه !

فقالت زوجته وقد عادت الشدة والصلابة المعتادة الى صوتها :

ــ حسن ... لقد اردت فقط ان امنحك فرصة ... فلتتذكر ذلك .

فرمقها زوجها بارتياب وسألها :

ــ ماذا تعنين بقولك امنحك فرصة ؟ ... لا اريد اية فرصة **او اي شيء آخر منك . ان المرء لا يقبل شيئا من احد يكرهه ...** ويخيل لي ان شعوري نحوك لم يعد سرا بالنسبة اليك . نحن مرتبطان معا برباط ابدي ... وانت **قد فعلت كل ما في جعبتك لجعل هذا الرباط عبئا لا يطاق ... انه قيد فوق طاقة البشر ..**

فأجابته وقد خفضت بصرها :

ــ نعم ... فنحن مرتبطان معا برباط ابدي ... نحن مرتبطان معا برباط ابدي !

وراحت تكرر هذه الكلمات همسا ، وهما يسيران الخطوات القلائل المتبقية نحو البقعة . جلس جورج فوق السور المتهدم ... اما هي فأخذت تسير اقبالا وادبارا في عصبية وانفعال وقد تشابكت يداها وتقلصتا فوق بعضهما . امسك زوجها الشهيق عندما اقتربت اللحظة الرهيبة .

وها هو ذا يصيح قائلا :

ــ **لماذا تسيرين هكذا كاللبؤة الضارية ؟ اقتربي مني واجلسي بجانبي واهدئي .**

رمقته بعينين يطل منهما بريق لم يره من قبل ... بريق الجنون والمقت .

ثم قالت :

ــ انني اسير كاللبؤة الضارية .. لانني فعلا قد انقلبت حيوانا مفترسا لقد تحدثت منذ لحظة عن كراهيتك لي ، ولكنك رجل ... وكراهيتك هذه لا شيء بالنسبة لما احمله لك من حقد . وانت مهما كنت شريرا ... ومهما كان تلهفك على فصم الرباط الذي يربطنا معا ... فانك لم تصل الى الدرك الذي انحدرت اليه .. انني اعلم ان فكرة الاغتيال لم تراودك .. ولكنها راودتني انا ... وسأريك يا جورج يا ابن حنا **كم امقتك واكرهك .**

تقلصت اصابع الرجل على قطعة حجر بجواره ، واجفل عندما جاء ذكر القتل على لسانها .

واستطردت قائلة :

ــ لقد اخبرت جل اقاربي **ومعارفي في مصر انني اعتقد انك تنوي اغتيالي في لبنان .**

فصاح قائلا :

ــ يا يسوع !! .. كيف تجسرين على مثل هذا القول ؟

ــ **لقد قلت ذلك لابين مدى مقتي لك ومدى تلهفي على الثأر منك ، انني اخطرت رجال الفندق بمخاوفي وحذرتهم ... وعندما غادرناه كان هناك رجلان يقتفيان اثرنا . لقد** حاول مدير الفندق ان يثنيني عن مصاحبتك . وان هي الا بضع لحظات حتى يصل الرجلان الى هذه البقعة ... فقل لهما اذا كنت **تعتقد انهما سيصدقانك ... ان ما حدث كان قضاء وقدرا .**

ووقفت المرأة وهي تتنفس ثائرة وقد نثرت شعرها كأنما قد ألم بها طائف من الجن .. وامتدت يداها الى ثوبها فمزقتاه من فوق صدرها .. فبرز النهدان ضخمين عاريين .

استوى جورج قائما على قدميه صائحا :

ــ ماذا دهاك ؟؟

بيد انه قبل ان يخطو نحوها .. **اندفعت صوب السور المتهدم ... وقفزت من فوقه ... فسقطت من** حالق وهي تطلق صرخات فزع وهلع داوية .. وراح جسدها يتقلب ويدور في الهواء .. الى ان استقر في قاع الهاوية ..

وفي اللحظة التالية اقبل رجلان على عجل الى حافة السور وعثرا على الزوج يقف بمفرده هناك . وبرغم ما اعتراه من حيرة ودهشة وارتباك فقد ادرك انه اذا روى الحقيقة فان احدا لن يصدقه .. فظل لسانه معقودا ، كما ظلت شفتاه مطبقتين دون ان تنفرجا عن شيء .. واستسلم لهما وهما يقتادانه الى مخفر الشرطة ..

القاهرة **غبريال وهبه**

الرجوع

الى سر بدر شاكر السياب

المطر يرخ
على الابواب
وانا انتظرك
فمتى ترجع
يا « سياب » ؟

الزقازيق **حسين علي محمد**

الشاعر الفقيد وصفي قرنفلي

غنيت جرحك ، فانتشيت جراحا ... وسألت عنك ، الليل ، و .....
ووجمت ، أندبك الغداة ممزقا ... قلقا ، وأسكب دمعي السحاحا
فلقد ذهبت ، كما ذهبت ، مضيعا ... ولقد مضيت ، كما قضيت ، نواحا
ورجعت للزمن البعيد ، فخلتني ... بعد الحبيب ، اعانق الاشباحا
ويكاد يقتلني الحنين ، كآبة ... فاغص أغنية ، واظما .....

يا شاعر الآلام ، وهو موسد ... في الترب ، عطرك لم يزل فواحا
أرقصت أطيار الخمائل لوعة ... وتركتهن على الظلال صداحا
فكأنهن مع الصباح قصيدة ... نديت هوى ، واخضوضلت أفراحا
وكأن شجوك ، نغمة عبق الصبا ... فيها ، ولونها منى ، ومراحا
ولكم مسحت دما ، تدفق هادرا ... من قلب مضطهد ، فجن كفاحا
أنسيته الالم العميق ، وما درت ... عيناه ، أنك تسكر الارواحا

يا شاعر الآلام ، نحن ضحية ... كبرت ، واتعب كبرها السفاحا
والملهمون ، وأنت من عظمائهم ... ... شجنا ، أبوا ان يرخصوك جناحا
وبقيت وحدك ، في الدروب ملوحا ... للتائهين ، مودة ، وسماحا
حتى هويت أسى ، وغبت مرارة ... وكذا يموت الملهمون ... طماحا

يا شاعر الآلام ، اني سامع ... فاحمل الي السر ، والمفتاحا
ماذا وراء الموت ، كيف وجدته ... ألمحت ذاك الاخضر اللماحا
أتلمست يدك .... موجه ... كالليل ، يرعش زحفه الملاحا
يا موت ، أنت طبيب كل معذب ... في الارض ، يحمل صدره الاتراحا
خذني اليك ، أحس أنك نعمة ... تلد الصباح ، وما رأيت صباحا

يا شاعر الآلام ، قلبي مرهق ... مل السهاد ، فخله مرتاحا
أنا لا ألومك ، حين يشغلك الردى ... عني ، ومثلك يمقت الالحاحا
قل لي بحق الجرح ، وهو مقدس ... أيموت من عشق الحياة جماحا
ويعيش عبدان الصغار ، وانهم ... ليلطخون سيوفهم ، والساحا
قالوا الجديد ، فقلت أين جديدهم ... أعرفت في اللغو المعيب صلاحا
ولقد رموك ، بكل سهم طائش ... ورميت أنت ، فأوسعوك نباحا
سلهم ، أبا ... ، هل سمعت بهم ... غير التجارة ، تغدق الارباحا

يا شاعر الآلام ، أنت شأوتني ... هربا ، ولم تملك يداي براحا
أنا معجل في الموت بعدك فاتئد ... شغفا ، ولا تكثر علي صياحا
وغدا ، ألملم كل أيام الهوى ... وأردهن الى الحبيب وشاحا
وأنا الغريب ، وما لقيت أحبة ... وأنا الطريد ، وما هجرت بطاحا
يا من رحلت ، ولست أول راحل ... عبر الوجود ، مع الصباح .. وراحا
أبكيك بالبوح الشجي ، وشاعر ... من هاله الخطب الجليل ، فباحا

السلمية ـ سورية

أنور الجندي

ملاحظات على كتاب الشريف الرضي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

١ ـ في الفصل الاول ، الحياة السياسية قال المؤلف : « لقد تميز القرن الذي ولد فيه الشريف الرضي بظهور الدعوة الفاطمية ودخول جوهر الصقلي مصر ... » وبعد ان انهى صفحة في ذلك قال : « ويتميز القرن الرابع الهجري ... بظهور دولة بني بويه ... »

ويقتضي منهج ان نبدأ بميزة ظهور دولة بني بويه لانه يشمل بغداد ، والشاعر المتحدث عنه بغدادي عاش في ظل هذه الدولة ... ولو كان الحديث عن شاعر مصري فاطمي كان البدء بالفاطميين هو المطلوب .

٢ ـ يكثر المؤلف من اعتماد « المنتظم » لابن الجوزي كأنه المصدر الاول للعصر البويهي ، وكان تجارب الامم وذيله وكامل ابن الاثير اقل شأنا من المنتظم .

٣ ـ ص ٦ قوله : « والادهى من ذلك ان ... » صحيحه : وادهى من ذلك ، او والادهى أن ...

٤ ـ أولى المؤلف ص ٧ ـ ٨ هجمات الروم على اطراف المملكة (كذا) الاسلامية وكأنه يقدم لدراسة أبي فراس او المتنبي .. او كأنه يدرس الحياة السياسية لذاتها ... والا فليس لهذه الهجمات من صلة تذكر بحياة الشريف او شعره ـ ومثل هذا قل في مواد من « الحياة الاجتماعية » .

٥ ـ وردت كلمة « سلطان » و « السلطان » اكثر من مرة (ص ٩، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٥ ، ٤٢) مصطلحا سابقا لاوانه لانه لم يكن لقبا للحاكم البويهي ، كان هذا الحاكم « ملكا » او « اميرا » اما السلطان فهو الحاكم السلجوقي (الذي سيأتي بعده) .

٦ ـ مصادرنا عن العيارين قليلة وهي ضدهم وعليهم ، وذلك منتظر من مؤرخين « مؤمنين » و « رسميين » كابن الجوزي ... ومع هذا فان الاستاذ مؤلف الكتاب زاد من الشدة على العيارين وعمل على ان يحرمهم حتى ما سمح به المؤرخ القديم .

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٦٤ ، ج٧ ص ٧٥ :

« وزاد امر العيارين في هذه السنة حتى ركبوا الدواب وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الامور واخذوا الخفائر عن الاسواق والدروب » .

وهذا يعني ازدياد نفوذ العيارين وقوة سلطتهم حتى لكأنهم صاروا قوة حاكمة تتمتع بما يتمتع به الحاكم من ألقاب ومزايا وتأخذ من « الضرائب » ما يأخذ .

أما الاستاذ المؤلف فرواها بما لا يفهم من الصياغة التي روى بها ابن الجوزي الخبر ، فقد قال (ص ١١) : « وزاد أمر العيارين فسادا في هذه السنة ، فركبوا الدواب جهارا ، وتلقبوا بالقواد ، وغلبوا على الامور ، واخذوا رسوما للخفارة على الدواب والدروب ... »

كنت افضل ان يحتفظ الاستاذ المؤلف برواية ابن الجوزي نصا .

وزاد ابن الجوزي : « وكان في جملة العيارين قائد يعرف بأسود الزبد لانه كان يأوى قنطرة الزبد ... فاخذ الاموال واشترى جارية بألف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنعته فقال: ما تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال : ما تحبين ؟ قالت : ان تبيعني. قال : أوأفعل خيرا من ذلك فحملها الى القاضي واعتقها ووهب لها الف دينار فعجب الناس من سماحة اخلاقه اذ لم يجازها على كراهيتها له » .

اما الاستاذ المؤلف فرواها بوجه لا يشير الى سماحة العيار التي منحه اياها الناس وثبتها له ابن الجوزي المؤرخ الحنبلي : فقد قال ص ٧ : « وظهر في هذه الفترة عيار قائد يدعى أسود الزبد لانه كان يأوي قنطرة الزبد كما يقول المؤرخ ابن الجوزي ، وكان ينتهب الاموال ويشتري الجواري بأغلى الاثمان » .

وهذا غير ذاك ، وكنت افضل ان يترك الاستاذ المؤلف رواية ابن الجوزي كما وردت في كتابه لان « أسود الزبد لم يشتر الجواري بأغلى الاثمان » وانما اشترى جارية واحدة بألف دينار ... ثم انه اعتقها.. بل انه رجع الى القاضي في ذلك وفي هذا ما يدل على « دين » الرجل او التزامه بالشرائع في الاقل .

هذا ولو جعل المؤلف « يأوي قنطرة الزبد.. » : يأوي الى قنطرة الزبد كان في امكانه لانه التركيب الفصيح ولانه يلخص ولا ينقل نصا ولان النسخة التي وصلت الينا من منتظم ابن الجوزي ليست على ما يرام من التوثيق .

٧ ـ ص ١٤ ـ ١٥ : « ولقد لجأ أهل السنة في القرن الرابع الى طريقة يقابلون بها احزان الشيعة في يوم عاشوراء ... فحين كان الشيعة يذوبون حزنا ونوحا على الحسين يوم عاشوراء ، كان أهل السنة في عيد وسرور ! واول ما فعل ذلك في القرن الرابع في سنة ٣٨٩ هـ » .

يفهم من هذا ان أهل السنة اتخذوا لهم يوما عيدا في يوم عاشوراء اي اليوم العاشر من المحرم .

والاستاذ المؤلف يعتمد ـ كما رأينا ـ ابن الجوزي كثيرا ، ولو رجعنا الى ابن الجوزي ـ المنتظم ٧ : ٢٠٦ قرانا : « وجعلت ـ اي أهل السنة ـ بازاء يوم عاشوراء يوما بعده بثمانية ايام نسبته الى مقتل مصعب ابن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين عليه السلام » .

وواضح من هذا ان أهل السنة لم يتخذوا يوم عاشوراء ، وانما اليوم الثامن عشر من المحرم ، وانهم لم يتخذوه عيدا وسرورا وانما اتخذوه يوم زيارة لقبر مصعب تقابل زيارة الشيعة لقبر الحسين وبكاءهم عليه في هذا اليوم .

واذا كان لا بد من الاشارة هنا الى يوم العيد والسرور افدنا مما روى ابن الجوزي نفسه في الجزء نفسه والصفحة نفسها : « وقد كانت جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب واظهار الزينة في يوم الغدير واشعال النار في ليلته ونحر جمل في صبيحته فأرادت الطائفة الاخرى ان تعمل في مقابل هذا شيئا فادعت ان اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل النبي صلىالله عليه وسلم في الغار وابو بكر معه فعملت فيه مثل ما عملت الشيعة في يوم الغدير » .

ومن هذا نفهم ان أهل السنة قابلوا يوم فرح بيوم فرح ويوم حزن بيوم حزن وليس العكس ، وان يوم الفرح هذا لم يكن في العاشر من محرم وانما كان في اليوم الثامن بعد يوم الغدير أي في السادس والعشرين من ذي الحجة . ونجد تأكيدا لهذا وتفصيلا لدى ابن الاثير وابن كثير ، تنظر سنة ٣٨٩ من كتابيهما .

٨ ـ ص ١٦ « ... وحسبك ان يجتمع في عصر واحد امثال هذه الدول العربية الاسلامية ، وهي السامانية ببخارى ، والزيارية بجرجان ، والبويهية بالعراق وفارس ، والحمدانية بحلب وما بين النهرين ، والغزنوية بافغانستان والهند ، والفاطمية بمصر ، ودولة الامويين بالاندلس ... » .

● « الشريف الرضي » تأليف محمد عبد الغني حسن ، القاهرة، دار المعارف (نوابغ الفكر العربي ـ ٤١) ١٩٧٠ ، ١١٩ ص ، بينها ٢٢ للمختارات الشعرية .

ونظرة الى هذه العبارة ترينا – أ – ان المؤلف لم يتقيد « بالمصطلح الجغرافي » فمرة يذكر البلدة ومرة يذكر القطر ... والمناسب ان نوحد كأن نقول : السامانية بما وراء النهر فبخارا (او بخارى) مقر ملكهم بما وراء النهر .

ب – ان البويهية كانت في بلاد الجبال وفارس وخوزستان والعراق ، لان « فارس » لا تعني كل هذه الرقعة التي هي « ايران » وانما تعني لدى التحقيق الجغرافي اقليما واحدا من الاقاليم الجنوبية من هذه الرقعة .

ج – الزيارية بجرجان : الزيارية بجرجان وطبرستان ، لا سيما ان المؤلف سيقول على ص ١٧ : « وكان قابوس بن وشمكير ملك الدولة الزيارية في طبرستان اديبا ... » وسيحس القارىء بتناقض فهو يقرأ على ص ١٦ « الزيارية في جرجان » وعلى ص ١٧ : « الزيارية في طبرستان » .

د – « الحمدانية بحلب وما بين النهرين » وكلمة ما بين النهرين مضللة ولا سيما أننا نستعملها اليوم لتعني العراق Mesopotamia ولو قال المؤلف : بلاد ما بين النهرين العليا لكان أقرب الى التحديد .

هـ – افغانستان : سجستان ... واذا كان لا بد من ذكر افغانستان الحديثة وضعنا احدى الكلمتين بين قوسين تبيينا وتوضيحا وتأريخا .

٩ – ص ١٦ « كان عدد من هؤلاء الامراء ادباء او علماء او شعراء، فعضد الدولة بن بويه كان له مشاركة في عدة فنون من الادب ، ولهذا قرب اليه الادباء والكتاب والشعراء ، فكان منهم ابو اسحاق الصابي ، وابو علي الفارسي والمتنبي والسلامي ، وعز الدولة بن بويه وتاج الدولة بن بويه ... »

أ – عضد الدولة بويهي وعز الدولة وتاج الدولة كذلك ... وهم ليسوا اولاد بويه – لدى الدقة – فعضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وعز الدولة بن معز الدولة بن بويه وتاج الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه .

ب – لقد أذاق عضد الدولة ابا اسحاق الصابي الأمرين ، ولم يكن الشريف الرضي بمنجى من ظلمه . ويكفي ان نذكر هنا ما قاله الاستاذ المؤلف : « ولقد جمعت بين الرجلين المشاركة في المحنة والنكبة من ناكب واحد . فعضد الدولة البويهي الذي نكب والد الشريف وحبسه بضع سنين ، هو بعينه الذي سخط على الصابي كاتبه وعزم على القائه تحت ارجل الفيلة ليصرع ، لولا ان بعض الطيبين سعفوا فيه فاطلق سنة ٣٦٧ هـ ، ولكن صودرت امواله » .

اين التقريب اذا ؟

لقد ورد عضد الدولة العراق مرتين : الاولى قصيرة فما كان الصابي قريبا منه ، الثانية وهي الطويلة ومدة الامارة لقي فيها الصابي ما لقي من ظلم وهوان .

قال ياقوت ٢ : ٣٥ « قال هلال بن المحسن : قبض عليه في يوم السبت لاربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة وافرج عنه يوم الاربعاء لعشر بقين من جمادى الاولى سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة اشهر واربعة عشر يوما» وهذا الخبر صادر عن مصدر اولي مؤيد في وفيات الاعيان (ط. الوطن ١ : ٢٠) وهو يعني ان الاستاذ المؤلف اذ جعل تاريخ الاطلاق سنة ٣٦٧ فانما يعني تاريخ القبض لان الاطلاق كان سنة ٣٧١ .

وجاء في معجم الادباء ٢ : ٢١ – ٢٢ : « لما ورد عضد الدولة الى بغداد في سنة سبع وستين وثلثمائة نقم عليه – أي على ابي اسحاق الصابي – اشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبسه ، فسئل فيه ... فقال عضد الدولة : قد سوغته نفسه ، فان عمل كتابا في مآثرنا وتاريخنا اطلقته ، فشرع في محبسه في كتاب التاجي (نسبة الى تاج الملة من القاب عضد الدولة) في اخبار بني بويه ، وقيل ان بعض اصدقائه دخل عليه الحبس ، وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب فسأله عما يعمله ، فقال : اباطيل انمقها واكاذيب الفقها ، فخرج الرجل وانهى ذلك الى عضد الدولة .. ، فأمر بالقائه تحت ارجل الفيلة .. ، فاكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ونصر بن هارون على الارض يقبلانها ويشفعون اليه في امره ، حتى امر باستحيائه (أي بتركه حيا) واخذ امواله واستصفائه ، وتخليد السجن بدمائه ، فبقي في السجن بضع سنين الى ان تخلص في ايام صمصام الدولة بن عضد الدولة » وتنظر يتيمة الدهر تحر . محمد محيي الدين ٢ : ٢٤٤ .

ج – يمكن ان يفهم من عبارة الاستاذ المؤلف ان المتنبي عاش طويلا قريبا من عضد الدولة كأن عضد الدولة سيف الدولة ، وليس الامر كذلك .

ويزيد من امكان سوء الفهم في عبارة الاستاذ المؤلف جعله ص ١٧ المتنبي من المطيفين بسيف الدولة . والاطافة تعني المدة القصيرة ولا سيما اذا قيست بالتقريب ، وقد عاش المتنبي لدى سيف الدولة اكثر واطول واحسن مما عاش لدى عضد الدولة .

د – قول الاستاذ المؤلف : « وعز الدولة بن بويه كان شاعرا » فيه جزم وتوكيد ولم يكن الامر في شاعرية عز الدولة على هذه الدرجة فلو قال : وعز الدولة بن بويه قال شعرا أو كان يقول الشعر .. او أي شيء من هذا وأخف منه كان اكثر دقة في التعبير لدى القارىء .. لان قولنا « كان شاعرا » يعني انه كان كثير الشعر جيده ، وما كان الامر كذلك ويكفي ان يقول الثعالبي في اليتيمة ٢ : ٢١٨ – ٢١٩ « لم اسمع له شعرا حتى ورد نيسابور هرون بن احمد الصيمري .. » وروى له تسعة أبيات فقط .

١٠ – ص ١٦ « وكان اول من اهتم بتتبع شيوخ الشريف الرضي الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحسين احمد الاميني النجفي صاحب « الغدير » فقد اوردهم وذكر مصادر ورودهم ، ولكنه لم يترجم لهم ولم يذكر الا القليل من وفياتهم ... » .

لو قال الاستاذ المؤلف : وكان من اوائل من اهتم ... لجنب معترضا ان يعترض فقد طبع كتاب الاميني في النجف – كما يذكر المؤلف – سنة ١٣٦٥ ، ولدينا مثلا مؤلف آخر سبق الاميني في الاهتمام بتتبع شيوخ الشريف الرضي وهو الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمته على الجزء الخامس من كتاب حقائق التأويل المطبوع في النجف سنة ١٩٣٦ .

١١ – ص ٢٥ هـ : « ديوان مهيار طبع دار الكتب والوثائق القومية ج ٣ ص ٣٦٦ » .

ان ديوان مهيار المشار اليه طبع « دار الكتب المصرية » وكان طبع الجزء الثالث سنة ١٩٣٠ . اما عطف « الوثائق القومية » فهو متاخر جدا في تسمية الدار وليس لباحث ان يعطف متاخرا على متقدم اذا لم يحدث هذا في طبعة جديدة – وهو ما لم يقع .

١٢ – بدأ الاستاذ المؤلف ص ٢٦ يعدد شيوخ الشريف الرضي ويتحدث عنهم الى ان قال ص ٣١ : « عبد الرحيم ابن محمد المعروف بابن نباتة الفارقي الخطيب المشهور وهو صاحب ديوان الخطب المنبرية المعروف ، وكان مبرزا في الادب واللغة ، واجمعوا على ان خطبه المنبرية لم يعمل مثلها في موضوعها ، وكانت تدور حول الجهاد في حروب العرب والروم . وقد التقى هو والمتنبي في خدمة سيف الدولة ، فاجتمع بهما الشعر والنثر وتوفي بحلب سنة ٣٧٤ هـ .. »

والكلام صحيح ولكنه لم يشر – كما هو الواجب – الى صلة بين الشريف الرضي وابن نباتة الفارقي – كما فعل لدى ذكر اساتذة آخرين . وحوادث ابن نباتة الفارقي واماكنها المذكورة بعيدة عن حوادث الشريف الرضي واماكنه ... فلم يرد مثلا في كلام المؤلف ان ابن نباتة الفارقي كان في بغداد ... او ان الشريف الرضي كان في حلب فاذا لم يكن الامر كذلك فكيف تمت التلمذة ؟ وأين ؟

ثم ان ابن نباتة فارقي عاش اطول عمره في حلب قرب سيف

الدولة ومات سنة ٣٧٤ هـ « دون الاربعين » وكان عمر الشريف الرضي آنذاك في نحو الخامسة عشرة (لانه ولد سنة ٣٥٩) وسياق احداث حياة ابن نباتة الفارقي يدل على انه كان خلال هذه السنوات الخمس عشرة في حلب بعيدا عن بغداد على أي حال .

وكان للشريف الرضي من شيوخ بغداد وهو في هذه السن ما يشغله عن ابن نباتة الفارقي .

ونرجع الى ما لدينا من مصادر مهمة عن ابن نباتة الفارقي ، وعجيب الا نجد له مكانا في يتيمة الدهر (المطبوع) .

ويتحدث ابن خلكان فيقول : « وهو من أهل ميافارقين وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة .. وهذا الخطيب لم أر احدا من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الازرق الفارقي في تاريخه فانه قال : ولد في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة اربع وسبعين وثلثمائة بميافارقين ودفن بها » .

وليس في هذا الكلام ما يشير الى صلة ممكنة بين الشريف الرضي وابن نباتة الميافارقي فضلا عن تلمذة الاول للثاني ...

هذا الى ان ما نقله ابن خلكان عن المؤرخ الفارقي ينص على ان وفاة ابن نباتة كانت بميافارقين وهو يخالف ما جزم به الاستاذ المؤلف اذ قال ان وفاة ابن نباتة كانت بحلب – وليست وفيات الاعيان لابن خلكان من المصادر الثانية عن الباحثين او ما يمكن ان يستهان به لدى تحديد الوفيات . ومثل الذي جاء في وفيات الاعيان عن ولادته جاء في النجوم الزاهرة (٣ : ١٤٦) .

١٣ – ص ٣٥ « وجد الشريف الرضي ... « الصابي » رئيس ديوان الانشاء والكاتب الاول للخليفة وللسلطان البويهي يتنبأ له بالخلافة ... »

لا ادري اذا كان لديوان الانشاء – ايام الصابي – رئيس ... وكان يمكن الاكتفاء بالقول انه كان كاتب الانشاء – كما وصفه ابن خلكان – او متقلد ديوان الرسائل كما ورد لدى الثعالبي ...

١٤ – ص ٥٦ « لم يبلغنا – فيما لدينا من مصادر كثيرة – الا شعر الشعراء الثلاثة الذين رثوا الشريف الرضي يوم وفاته سنة ٤٠٦ هـ وقد تكشف الايام عن شعراء آخرين رثوا الشريف ، والا لماذا سكت عن رثائه الشعراء المعاصرون له والذين – لا شك – تأثروا لوفاته من امثال ابي العلاء المعري والثعالبي صاحب يتيمة الدهر وصريع الدلاء وغيرهم » .

لم ننتظر (ونشترط) من الثعالبي وصريع الدلاء ان يرثيا الشريف الرضي ؟ لم يبين لنا المؤلف صلتهما به ، ولا نعرف شيئا عن هذه الصلة ولا نعرف شيئا عن مراثي الثعالبي وصريع الدلاء للشعراء ، لقد تحدث الثعالبي في اليتيمة عن الشريف ولكنه لم يبين انه يعرف الشريف عن قرب . وليس الثعالبي شاعرا شاعرا وانما هو كاتب مترسل مؤلف له عشرات الكتب ليس بينها ديوان من الشعر ، ولا يزيد ما وصل الينا من شعره على ابيات معدودات ، اما صريع الدلاء فهو ماجن آفاق ولم يصل الينا ديوان شعره لنبت بنا جازما .

١٥ – ص ٧٢ غزليات الشريف . كنت أتمنى لو اطلع الاستاذ المؤلف على دراسة للدكتور محمد مهدي البصير ضمنها كتابه « في الادب العباسي » الذي كانت طبعته الاولى سنة ١٩٤٩ والثانية ١٩٥٥ ففي هذه الدراسة من الفوائد ما لا يوجد في غيرها وقد سأل الدكتور البصير (ص ٤١٧ من ط ٣) وهو مما ورد في الطبعتين السابقتين نصا : « هل ذاق الشريف الرضي لوعة الحب ؟ » وأجاب : « ... ان من جهل التاريخ هذا او علمه ولم يجرؤ على تدوينه فان الشريف قد دونه غير هياب ولا وجل . فقد قال لنا بصريح العبارة انه اصطلى بنار الحب واصلاها نفس الانسان الذي قدح زندها بين جنبيه والا فما معنى قوله :

يشكو الحبيب الي شدة شوقه   وأنا المشوق وما يبين جناني

وقوله :

لك الله من مطلولة القلب بالهوى   قتيلة شوق والحبيب قريب
أقل سلامي ان رأيتك خيفة   وأعرض كيما لا يقال مريب
واطرق والعينان يومض لحظها   اليك وما بين الضلوع وجيب

... اذا لم يخطيء ظني فاننا قد عثرنا على مفتاح غزل الشريف واهتدينا الى سره ... »

١٦ – ص ٧٩ « اشارات الجاحظ وتلميذه ابن قتيبة » .

يا حبذا لو بين الاستاذ المؤلف المصدر الذي ينص على تلمذة ابن قتيبة على الجاحظ – وعلى هذه الدرجة من الوضوح .

١٧ – مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٢ : « تضيف المؤلفات التي تركها الشريف الرضي ثروة كبيرة الى تلك المؤلفات العظيمة التي كانت من نتاج ذلك القرن الرابع الذي عاش فيه المترجم له من امثال كتب الخوارزمي وابن العميد وبديع الزمان والصاحب ابن عباد ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، والصناعتين ، وديوان المعاني لابي هلال العسكري ، ورسالة الغفران للمعري ، والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، ومحاضرات الادباء للاصبهاني ... » .

أ – ورد هنا ذكر ابن العميد على انه مؤلف ، ومعلوم ان المقصود بالتاليف هنا الكتب . ولا نعرف لابن العميد كتبا او كتابا . واذا كان المقصود بالمؤلفات : الرسائل تساءلنا عن غياب اسم أبي اسحاق الصابي وغيره بين هذه الاسماء .

ب – محاضرات الادباء للاصبهاني ليست من نتاج القرن الرابع وانما هي من نتاج القرن الخامس لان الاصبهاني (الراغب ابو القاسم الحسين بن محمد ...) توفي سنة ٥٠٢ هـ .

١٨ – مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٤ – ٨٥ : « ديوان الشريف الرضي وقد طبع الديوان في بمباي اولا سنة ١٣٠٦ هـ ... وطبع في بيروت بعد ذلك بعام بشرح الشيخ أحمد عباس الازهري ومحمد اللبابيدي في جزأين في ٩٨٦ صفحة .. واعادت دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ نشر هذا الكتاب محققا ومشروحا بقلم الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ولكن لم يظهر منه الا الجزء الاول في ٤٨٠ صفحة حيث قافية الباء ... »

أ – الصحيح ان بدء الطبع في بيروت كان ١٣٠٧ ويبدو انه لم يتم الا في « ٩ ربيع الاول ١٣١٠ » بدليل الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني .

ب – يبدو ان الذي تولى الشرح هو اللبابيدي اما الازهري فهو ملتزم الطبع وان الشرح (والتصحيح) جرى بمعرفته (وعلمه) ويمكن ان يكون الدليل على ذلك ما جاء على الغلاف « قد صحح على عدة نسخ معتبرة وشرحت الفاظه الغريبة بكمال الدقة والاعتناء بمعرفة ملتزم طبعه الفقير احمد عباس الازهري » .

ويؤكد هذا ما جاء في ختام الجزء الثاني من الديوان : « تم طبع ديوان الشريف الرضي ... وقد شرحت الفاظه اللغوية بقلم الفقير الى الله الغني محمد بن سليم اللبابيدي البيروتي » .

ج – يفهم من قول الاستاذ المؤلف : واعادت ... ان الكتاب أعيد نشره وهو ما لم يقع بدليل قوله : « ولكن لم يظهر منه الا الجزء الاول » . وقد يكون الانسب في هذه الحالة ان نقول : وعزمت دار احياء الكتب العربية على اعادة نشر هذا الكتاب ...

د – عندما نقول في الوقت الحاضر عن كتاب انه نشر محققا نعني – اول ما نعني – انه نشر باعتماد نسخة او نسخ مخطوطة مقابلة ... وهذا ما لم يحدث في عمل الشيخ محمد محيي الدين ، فلم يرجع الى اية مخطوطة ولم يتحدث عن اية مخطوطة وانما نشر الكتاب باعتماد الطبعتين الهندية والبيروتية ولم يكن صريحا في ذلك ، ولم ينبه القاريء الى معنى « ب » و « هـ » التي يذكرها في الهامش على سبيل من التدليس كمن يريد ان يقول : اني قابلته على نسختين مخطوطتين . ومن اجل ذلك لم ينص في مقدمته على الطبعتين ومكانهما . وقد وقع الشيخ في الخلط بين ب و هـ منذ الصفحة الاولى .

من الاعماق

حبي كبير كبير
سرقته بالرغم مني
فهل تراني استجير .. اليك عني
لا .. لن املك الفؤاد
بل سابقيك .. كظني

طرابلس ــ لبنان   غادة سلهب

هـ ــ طبع ديوان الشريف الرضي بعد ذلك في بيروت ، دار بيروت دار صادر ، سنة ١٩٦١ ونشرتــه مكتبة البيــان في بغداد مصورا بالاوفست (على ط بيروت الاولى) في طهران سنة ١٩٦٤ .

١٩ ــ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٦ : « ٩ ــ رسائل الشريف الرضي ، وقد جمعها معاصره وصديقه الحميم ابو اسحاق الصابي كما جاء في الفهرست لابن النديم وقد ذكره صاحب عمدة المطالب ... ويقع في ثلاثة مجلدات وان كان سرا مطويا في ضمير الغيب واظنه غير (نسخ المكاتبات من النظم والنثر الجارية بين الشريف والصابي) التي يوجد مخطوطها في مكتبة الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب » .

أ ــ لم يرد عمدة المطالب في قائمة « المراجع والمصادر » التي أخذ عنها .

ب ــ صحيح اسم الكتاب عمدة الطالب .

جـ ــ وقد أورده الاستاذ المؤلف على « عمدة المطالب » ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

د ــ اكبر الظن ان الاستاذ المؤلف لم يكن ينقل عن عمدة الطالب مباشرة وانما كان يستعين بمراجع اخرى كالغدير للاميني ...

هـ ــ لا داعي الى الظن بصدد نسخ المكاتبات من النظم والنثر الجارية بين الشريف والصابي لانه لا يكون ثلاثة مجلدات ، ولا داعي للحديث عنه مخطوطا بعد ان صار مطبوعــا نشر في الكويت بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

و ــ كان الشيخ عبد الحسين الحلي في ترجمته التي كتبها للشريف الرضي سنة ١٩٣٦ مقدمة على الجزء الخامس من « حقائق التاويل » قد فرق وهو يتحدث عن مؤلفات الشريف الرضي بين « كتاب رسائله » و « كتاب ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصابي »

٢٠ ــ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٧ « ١٠ ــ اخبار قضاة بغداد ، وقد ذكره له ابن عنبسة الحسني الداودي المتوفي سنة ٨٢٩ هـ ولا نعرف عنه شيئا ، وذكره صاحب الغدير في ثبت مؤلفاته » .

أ ــ لم يرد اسم ابن عنبسة الحسني الداودي .. بين اسماء المؤلفين التي ذكرها الاستاذ المؤلف في قائمة « المراجع والمصادر » التي أخذ عنها .

ب ــ صحيح ابن عنبسة : ابن عنبة ...

جـ ــ وهو صاحب كتاب « عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب » (السابق ذكره في المادة رقم ١٩) .

والكتاب « قد طبع في الهند طبعات رديئة » ثم طبع في النجف سنة ١٣٥٨ طبعة اولى ، وسنة ١٣٨١ (١٩٦١) طبعة ثانية وتنص مقدمة المحقق على ان ابن عنبة توفي في سابع صفر سنة ٨٢٨

د ــ ذكره قبل صاحب الغدير الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمته على الجزء الخامس من « حقائق التأويل » المطبوع سنة ١٩٣٦

٢١ ــ ص ٨٧ : « طيف الخيال » لاخيه الشريف المرتضى وقد نشر اخيرا في مجموعة « تراثنا » بتحقيق صديقنا الشاعر المحقق الاستاذ حسن كامل الصيرفي » .

اقول : طبع طيف الخيال ــ غير ذلك ــ في القاهرة سنة ١٩٥٥ بتحقيق سيد كيلاني ، وفي العراق بتحقيق الدكتور صلاح خالص عام ١٩٥٧ .

٢٢ ــ ص ٨٧ « اما ما ذكره جرجي زيدان .. من ان للشريف الرضي كتاب « انشراح الصدر في مختارات من الشعر » فهو غير دقيق تمام الدقة ، لان انشراح الصدر هذا ليس الا منتخبات من شعر الشريف الرضي ، اختارها بعض الادباء كما يذكر حاجي خليفة في كشف الظنون وهو يتحدث عن ديوان الشريف الرضي » .

الذي قاله جرجي زيدان (ط ٢ : ٣٠٠) وهو يتحدث عن مؤلفات الشريف الرضي : « وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية .. »

ومناسب جدا ان نرد على زيدان بما ورد لدى حاجي خليفة (المتوفي سنة ١٠٦٨ هـ) في كشف الظنون ، ولكنا كنا نتمنى على الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان يرجع الى المكتبة الخديوية في القاهرة ليكون رده أقوى ولينورنا بما هو في متناول يده .

٢٣ ــ ص ١١٥ ــ ١١٦ « المراجع والمصادر » .

أ ــ رأينا ان الاستاذ المؤلف ينقل عن مصادر لم يرجع اليها مباشرة مثل معالم العلماء لابن شهراشوب وقد يجر هذا النهج الى خطأ في اسم الكتاب او اسم مؤلفه كما حدث لكتاب « عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب » لابن عنبة ، فقد رواه مرة على عمدة المطالب ومرة « في مناقب آل أبي طالب » .

ب ــ وقد تحدث ص ٨٥ ، ٨٦ عن مقدمة عبد الحسين الحلي وعن حقائق التاويل ووصفها بانها « جيدة » دون ان يدل على انه قرأ المقدمة ورأى الحقائق .

جـ ــ في المراجع والمصادر شرح ديوان الشريف الرضي المطبوع في القاهرة سنة ١٣٦٨ ولا يزيد هذا على جزء واحد فيه قافية الباء فقط واهمل الديوان الكامل الاصلي في طبعتي بمباي سنة ١٣٠٦ وبيروت (سنة ١٣٠٧ ــ ١٣١٠) .

د ــ سمي ديوان الشريف المرتضى : « شرح ديوان الشريف المرتضى » وليس هذا اسمه ولذلك جاء ترتيبه في حرف الشين بدل ان ياتي في حرف الدال . لقد نشر الديوان باسم ديوان الشريف المرتضى ــ وهذا هو اسمه .

هـ ــ استعمل في المتن هـ ص ٨٧ كشف الظنون « طبع بولاق » ولكنه اثبت في « المراجع والمصادر » « طبعة استنبول » سنة ١٣١٠ ، وطبعة استنبول متاخرة عن هذا التاريخ (١٩٤١ ــ ١٩٤٢) .

و ــ ذكر في « المراجع والمصادر » « محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضري ، القاهرة بدون تاريخ » .

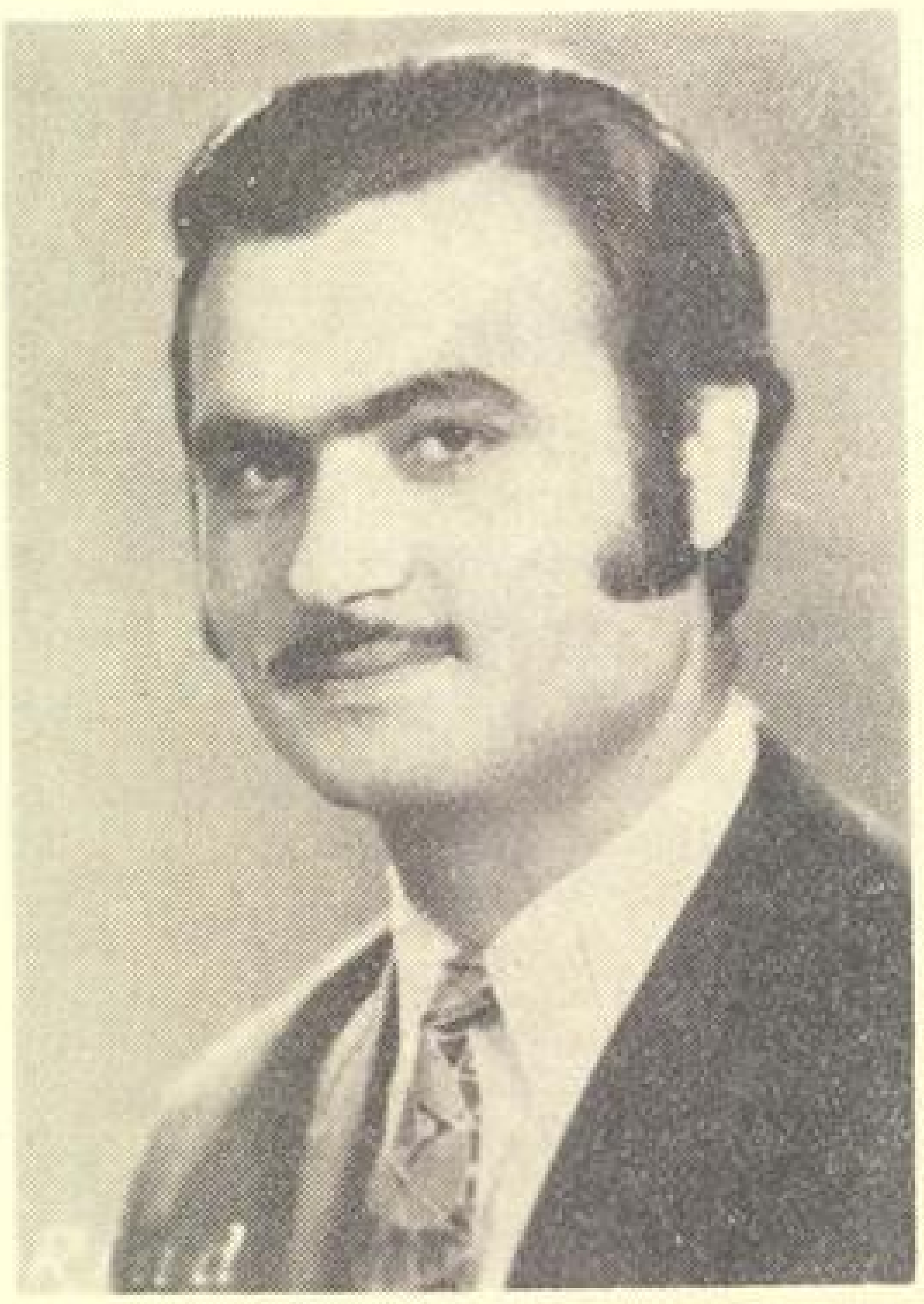
وللشيخ محمد الخضري كتابان في محاضرات تاريخ الامم الاسلامية، يهمنا منها هنا « الدولة العباسية » ومن المفيد ان ينص عليها .

٢٤ ــ للاستاذ محمد عبد الغني حسن مؤلف كتاب الشريف الرضي ١٩٧٠ عناية سابقة بالشريف الرضي فقد حقق له سنة ١٩٥٥ كتاب « تلخيص البيان في مجاز القرآن » وكتب مقدمة للتحقيق عرف فيها بالعصر وبالشريف وقد أعاد في كتابه الجديد غير قليل من المعلومات التي وردت في مقدمة التحقيق . وهذا يعني ان عددا لا باس به من الملاحظات التي سجلت هنا على كتابه « الشريف الرضي » تصلح للملاحظة على نظيراتها مما جاء في مقدمة تحقيق « تلخيص المجازات » السابق عليه بخمس عشرة سنة مثل عبد الرحمن ابن نباتة ص ٣٩ ، ٧٦ ، السلطان ص ٦٧ ، ٦٨ ، محاضرات الراغب الاصفهاني ص ٩٧ ، عمدة المطالب ص ١٠٠ ، وابن عنبسة ص ١٠١ ، وكتاب انشراح الصدر ص ١٠١ ــ ١٠٢ ... اما فيما يتعلق بتقريب عضد الدولة لابي اسحاق الصابي فقد زاد هناك : « الف ابو اسحاق الصابي » كتاب « التاجي » في اخبار آل بويه ــ ويقصد التاجي وقد مر ذكره .

بغداد ــ كلية الآداب   علي جواد الطاهر

الشوق المبحر

فوزي عطوي



حنانك
ما أنا وحدي
أزف الوجد للوجد

كلانا ، في الهوى
يرعى وفاء
عاطر الود

لقد كان الألى كانوا
وما زلنا على العهد
فلا تبكي على زمن

عتيق الحب
والحقد

ولا تأسي لما ولى
فماضي العمر
لا يجدي

وان تاهت بك الذكرى
ألا أبديت
ما أبدي ؟!

دعي للناس
ما يغوي
وصوني فيك ما يهدي

حرام ان يعذبنا
سراب
خادع الوعد

وان يذوي لنا
حب ،
فنستبكي ونستجدي !

أحبك ،
كالسما صفوا
بلا جزر ، ولا مد

أحب الشوق
ابحارا على يم
من الورد

فمن ثغر الى نحر
ومن عين
الى خد

ولي قلب أناني
يريدك
لي أنا وحدي

أريدك لي
فلا مثلي
ولا قبلي ، ولا بعدي !



الدكتور احمد الشرباصي

اديب من الازهر

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

عرفت الدكتور محمد رجب البيومي منذ قرابة ثلاثين عاما ، وتابعت نشاته الادبية ، منذ كان طالبا في الازهر ، الى ان تخرج واشتغل بالتدريس ، ثم تألق نجمه الادبي بما كتب وانشأ والف ، وكنا نتحادث طويلا اذا التقينا ، ونتراسل اذا افترقنا ، حتى جمعتنا زمالة التدريس في كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وكنت احرص الاخ الصديق على ان ينقدني فيما اكتب او اقول ، وكنت اتقبل نقده لي بصدر رحب ، سواء أكان نقدا مخطوطا في رسائله ، او ملفوظا على لسانه ، وعندي مجموعة من هذه الرسائل تصور وجوها وأفانين من تعليقاته وملاحظاته على ما اكتب او انشر ، ما بين تفنيد وتأييد ، وكتب عني الاخ الصديق اكثر من مرة ، وكان لكتابته اثرها وتقديرها في نفسي .

ولعل الذي هيأ الفرص امامه لتفضله بالكتابة عني هو انني سبقته زمنيا في نشر الكتب ، على حين كان هو منصرفا الى العناية بالمقالات يدبجها ويصوغها ، وينشرها هنا وهناك في عديد من المجلات ، مثل مجلة الازهر ، ومجلة الحج ، ومجلة رابطة العالم الاسلامي ، ومجلة الرسالة وغيرها وغيرها .

ومنذ عهد قريب اصدر الدكتور رجب كتابه « نظرات ادبية » في اربعة اجزاء بلغت صفحاتها نحو ستمائة وخمسين صفحة ، وقد ضم هذا الكتاب شتات مقالات ادبية بليغة كتبها صاحبها خلال ما يقرب من ربع قرن ، وتحدث فيها عن طائفة من شعرائنا المعاصرين وشعرائنا القدامى ، امثال : كثير عزة والفرزدق والحطيئة والكميت وابي نواس ودعبل وديك الجن ، والبحتري وعلي بن الجهم وابي الحسين الجزار ، وامثال شوقي وحافظ وعبد الرحمن شكري وولي الدين يكن وعبد الحليم المصري ومحمد عبد المطلب واحمد محرم وحفني ناصف واحمد الزين ..

وحين اهدى الاخ الصديق هذا الكتاب الي ونظرت في ارجائه ، قلت في نفسي : لقد تمثل امامك من آثار الصديق الكاتب الاديب ،وهي فرصة تتحدث فيها عن بعض ما تعرفه عن اديب عرفته منذ ذلك العهد الطويل البعيد ، ولعل في هذا الحديث اداء لحق وجب ، ولم تستطع له اداء فيما مضى من الايام .

والدكتور البيومي كاتب يعطي صورة واضحة للاديب بالمفهوم الذي يقول : « الادب هو الاخذ من كل فن بطرف » ، فهو يكتب في مختلف الموضوعات الادبية والتاريخية والاجتماعية والدينية ، وتغلب عليه كتابة المقالة الجيدة الرصينة التي تجمع شتات الموضوع في تركيز وانجاز ، وان يكن له بعض الاثار النثرية والشعرية التي حازت قصب السبق وفازت على آثار لغيره من الكتاب والادباء .

وينبغي ان نلاحظ ان عصر السرعة الذي نعيش فيه قد جعل الصحيفة والمجلة تسيطران على الكتاب ، وتستبدان باهتمام القارىء وعنايته ، فكان من الطبيعي ان يسوق الاديب نتاجه الفكري في شكل المقالة غالبا ، واغلب اعمال الادباء المعاصرين المتألقين كان اساسها المقالة ، تعددت وتنوعت او تشابهت ، فلما تكاثرت عاد صاحبها فجمع شملها في كتاب ، واذكر من هؤلاء الرافعي والمازني والزيات واحمد امين وطه حسين ، وليس هناك من عاب على هؤلاء ولا على الاخ الصديق لاتجاههم هذا الاتجاه ، ففي كثير من الاحيان تكون المقالة من الاديب الناضج متقنة رائعة ، لانها عمل جزئي يتجمع له الفكر والعزم فيأتي في يسر واتقان .

واذا كان الدكتور البيومي يتمتع بهبات ادبية متنوعة ، فهو مع هذا قارىء نهم دائم القراءة موصول الاطلاع ، وهو لا يقرأ بعينه وحدها ، بل يقرأ بعينه وقلبه وعقله ، وهو يقرأ بشغف ، ويفهم بعمق ، ويهضم باقتدار ، ويلمح بذكاء ، ويستفيد ببراعة ، وينتج من وراء ذلك بمتابعة بعد هضم وتمثل .

وتغلب عليه هواية قراءة المجلات القديمة ذات الشأن الفكري والمجد الادبي ، وقد يجد فيها كما حدثني مقالا دسما قيما احسن في الاثر والثمر من كتاب ، وذاكرته قوية جدا في هذا الميدان ، وهو في كثير من الاحيان يذكرني بمقالات كتبها منذ ربع قرن ، ويحدد لي مكانها وتاريخ نشرها وعناصرها ، وهو على سبيل المثال قد كتب في الجزء الاول من كتابه « نظرات ادبية » فصلا عن استاذه الشيخ احمد شفيع السيد ، وضمن هذا الفصل جزءا من مقال كتبته عن شيخنا الجليل رحمه الله ، وهذا المقال طالعه الكاتب الصديق في عدد لمجلة « منبر الشرق » صدر في الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٠ ، ونحن الان في أواخر سنة ١٩٧٢ ، وحينما اهدى الي كتابه ، شبك عند مقاله عن الشيخ القصاصة التي نشر فيها مقالي بمجلة منبر الشرق !

وهو يعني عناية كبيرة بالاحتفاظ بالمجلات المختلفة والقصاصات المتنوعة ، ويخبرني منذ حين ان اكوام هذه المجلات مع الكتب قد زحفت على مطبخ مسكنه في الفيوم الذي ما زال متمسكا به الى اليوم ، مع ان عمله في حي الازهر بالقاهرة .

وقد ارهق صاحبنا عينيه وصحته وجسمه بهذا النهم الموصول في القراءة ، وكلما رأيت صورته التي تنشر من حين الى حين مع مقالاته هممت ان اصرخ واقول لقارئه : لا تخدعنك هذه الصورة ، فهي مأخوذة في ايام الشباب منذ عهد بعيد ، ولو رأيت صاحبنا اليوم عن طريق ذاته لا عن طريق صورته ـ لرأيت رجلا اضناه طول البحث والاطلاع والكتابة ، ولهالك ذلك السمك العريض الواضح في منظاره !

ومنذ النظرة الاولى الى فاتحة الكتاب يتحرك في نفسي الاعجاب بالكاتب ، مشيدا بذلك الوفاء الكريم الذي يعبر عنه حين يجعل اهداء نظراته الادبية « الى والده العزيز اعترافا بفضله ، وتقديرا لتوجيهه ، حفظه الله تعالى » !.. ويتمثل هذا الوفاء ايضا فيما كتبه عن شيخه

« شفيع » ، وفي دفاعه عن شعراء حرمهم الناس والمجتمع حقهم العادل من التقدير والتكريم .

واكثر النظرات الادبية التي القاها الكاتب قد اتجهت ـ كما اشرت ـ الى الشعراء من قدامى ومحدثين ، وقد يتساءل متسائل عن سر ذلك ، والجواب فيما افهم هو ان الدكتور رجب شاعر يجيد صوغ الشعر الرصين ، ويغلب على شعره الاتجاه الى طريقة عبد الرحمن شكري وخليل مطران واضرابهما ، والشعر رحم بين اهله ، فلا غرابة ان يعنى شاعر بأمر الشعراء ، واحب ان اقرر هنا ان صاحبنا لو انفق في سبيل الشعر مثل ما ينفقه في سبيل النثر ، لتألق له كوكب بين كبار الشعراء .

ثم ان الدكتور رجب ناقد ، والنقد يحلو في مجال الشعر اكثر مما يحلو في مجال النثر ، لان الشعر كلام مختار مصطفى موزون ، وللشعر في مخارجه ومداخله ومداركه مآخذ وملاحظ لا يفقهها الا الصفوة المتذوقين من النقاد ، ولقد اعجبتني منه روعة التحليل وبراعة المقارنة وعمق الموازنة بين احمد شوقي وولي الدين يكن ، في قصيدتيهما عن سقوط السلطان عبد الحميد .

واتعجل ابداء ملاحظة واستبعاد وهم ، فقد ذكر الدكتور في الجزء الاول من كتابه ان الشاعر ولي الدين يكن اتخذ من جريدة « المقطم » منبرا لمهاجمة السلطان عبد الحميد ، واخشى ان يفهم من ذلك فاهم ان جريدة « المقطم » كانت تعنى بذلك لدافع من دوافع الوطنية او القومية ، مع ان الواقع غير ذلك ، وتفصيل القول عن ذلك الموضوع يحتاج الى استقلال مجال واستقلال مقال .

واهدى الدكتور الجزء الثاني من كتابه الى الاستاذ الجليل محمد سعيد العامودي ، ووصفه بانه « كاتب الحجاز وشاعر الحرمين » والاستاذ العامودي له آثاره الادبية القيمة ، ومع ذلك برأس تحرير مجلتي الحج ، ورابطة العالم الاسلامي اللتين تصدران من مكة المكرمة ، ولهما مكانتهما الملحوظة في العالمين العربي والاسلامي .

وفي هذا الجزء نلحظ شاهدا على براعة الكاتب الاديب ، فهو يأخذ الخبر الادبي الموجز ، فيصنع منه الفصل الادبي المسهب ، كما فعل في فصله عن نخلتي حلوان ومطيع بن اياس الليثي ، فقد اخذ القصة من معجم البلدان لياقوت الحموي ، وهي في سطور ، فصاغ منها فصلا في صفحات ، ببراعة وذكاء .

ولكني لاحظت ان الدكتور الصديق يقول عن مطيع : « غير ان الدهر لم يفلته من كيده ، فقد اوقعه في غرام جارية فاتنة تحت يده ، فملكت عليه فؤاده ، وتخطفت ازمة رشاده ، ثم حز به الخطب الملم ، فاضطر الى بيعها اضطرارا » . فكيف يقال هذا مع ان صاحب معجم البلدان يذكر تصريح مطيع بأنه : « لم يكن يحب هذه الفتاة » ؟

والعجيب ان ياقوت الحموي له قصة مشابهة لهذه القصة ، وقد اوردتها وعلقت عليها في كتابي « ملامح ادبية » ، فقد احب ياقوت جارية له ، ثم اضطر الى بيعها ، ثم ندم على ذلك ، وقال شعرا لعله اجمل ما رأيناه لياقوت ، كما ذكرت في « ملامح ادبية » ، ومن هذا الشعر قوله :

بنفسي أفدى من أحب وصاله	ويهوى وصالي ميله ويثيب
ونبذل جهدينا لشمل يضمنا	ويأبى زماني ، ان ذا لعجيب
وقد زعموا ان كل من جد واجد	وما كل اقوال الرجال تصيب

وتمنيت لو ان الباحث الشاعر اورد في فصله ما قاله احمد بن ابراهيم في نخلتي حلوان ، وهو :

وكذاك الزمان ليس وان	الف ، يبقى عليه مؤتلفان
سلبت كفه العزيز أخاه	ثم ثنى بنخلتي حلوان
فكأن العزيز مذ كان فردا	وكأن لم تجاور النخلتان

والدكتور الاديب يدعو الى عدم ذكر الادب المكشوف او الالفاظ الجارحة ، ولذلك نراه وهو يتحدث عن كتاب « معاهد التنصيص » يقول : « ويلحظ من يطالع هذا الكتاب كثرة اشعار المجون به دون داع ملح ، فليس في اكثر ما ذكره من روائع المعاني وجميل الصور وحلاوة الفكاهة ما يشفع في تدوينه ، بل يرتطم الناظر بألفاظ نابية صيغت في ابيات منظومة ، ويدعي قوم انها من الفن الادبي مهما انحدر اتجاهه . ولسنا ممن نرى هذا الرأي ، لان ذكر الالفاظ المستهجنة في ابيات عارية فاضحة لا تعد فنا ما دام قد خلا من الصورة الموحية ، والمعنى البارع ، واللفتة الساخرة المتندرة .

واكثر ما جرى هذا المجرى في معاهد التنصيص كلام اذا نثرت ابياته كان حديث الساقطين والساقطات في ملاهي التهتك والفسوق ، ولا كذلك الفن الادبي بحال ، وقد يكون الثعالبي في يتيمة الدهر رائده السباق ، اذ اربى على من قبله من رواة الادب في تسجيل هذه المتنديات .

والغريب ان عبد الرحيم العباسي يستشعر ـ بعد الاكثار الممل من هذه الفضائح ـ بعض الخجل فيستغفر الله ، ويشهد القارىء انه راوية فقط ، ولو شاء ما ارتكب ذنبا يوجب الاستغفار .

وفي كلامه عمن سماهم بالملاحدة ـ كابن الراوندي واشباهه ـ بعض ما كان الاولى طيه ، او اتباعه بالنقد مع سهولته وقربه . ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي ، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (ج ٢ ص ١٥٧) : « ولو ذهبت اورد ما ذكره هذا الملعون، وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر ، والاشتغال بغيره اولى ، وانا اعوذ بالله من هذا القول ، واستغفره مما جرى به قلمي ، مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله وكتابه الحكيم » .

الدكتور رجب ـ اذن ـ لا يؤمن بنظرية الفن للفن ، ولا بحرية الاديب المطلقة في التعبير والتصوير بلا قيود ولا حدود بل يرى ان يصون الادب حرمات العقيدة ومكانة الاخلاق ومصلحة المجتمع ، ولا عجب في ذلك فهو وليد قرية « الكفر الجديد » احدى قرى محافظة الدقهلية في الوجه البحري من ارض مصر الغالية ، وهو ابن اسرة متمسكة بدينها واخلاقها وعفة لسانها ، وهو قد افتتح مراحل تعلمه بحفظ القرآن الكريم ، وهو قد تنقل في مراحل التعليم الازهري ابتداء من معهد دمياط الديني حتى كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وهو ايضا يحدثنا بان ابن المقفع كان اول كاتب تثقف بأدبه في العربية ، ولا يزال يذكر قصصه الشائعة الممتعة التي قرأها في كتابه الخالد « كليلة ودمنة » حين كان في العاشرة من عمره او نحوها ، وكان الفتى رجب حينئذ ميالا الى متابعة ابن المقفع دون سأم او ملل ، وكان يستوعب روائعه في لذة وشغف ، فاذا نهض الى الناس عقب ذلك ، كان ما كتبه ابن المقفع اداة الحديث وموضوع السمر ، وقد فتن الفتى الذكي اللماح بابن المقفع ، حتى جملة نادرة الكتاب واستاذ البلغاء ، وما زال ـ كما يتحدث ـ ينظر الى الرجل هذه النظرة الغالية حتى اليوم !

وابن المقفع نستطيع ان نصفه بانه كاتب اخلاقي ، فهو صاحب « كليلة ودمنة » و « الادب الصغير » و « الادب الكبير » ، فاذا تأثر به الفتى اليافع كل هذا التأثر العميق الباقي فلا عجب في ان يكون هذا سببا من اسباب هذا الاتجاه الاخلاقي الاجتماعي الذي اتجه اليه الاديب الصديق .

وها هوذا يتغنى بفضائل ابن المقفع واخلاقه فيقول : « وقد تحدث بعض الكتاب عن الصداقة والاصدقاء ، فما وجدت لاحاديثهم جاذبية تدفعني الى التعليق عليها ، وما شعرت بارتياح كبير الى تحليلها وتشريحها ، لان جل هؤلاء في الواقع يقولون ما لا يفعلون ، فهم يسهبون في الحديث عن الوفاء والتسامح والايثار ، فاذا رجع الباحث الى تواريخهم المظلمة وجدها تنطق بالغدر والحقد والكيد .

اما اديبنا الحكيم فذو تاريخ نبيل مجيد ، تقرأه فتخفض رأسك اجلالا لصاحبه ، وتتساءل ـ كما اتساءل الان ـ عن هذا الذي ملك عواطفه ، وحكم مشاعره ، فلم يخضع يوما الى منطق الحقد ، ولم تتخطفه نوازع الهوى ، بل سار في طريق لاهب مستقيم، تحدوه الكرامة

والعزة ، ويرفرف عليه ظل وارف من النبل والوفاء .

واذا كانت حياة الانسان اعز شيء لديه ، ثم يليها في المرتبة ما يملك من مال وعتاد ، فان ابن المقفع قد نظر الى حياته وماله نظرة هنية رخيصة ، فذكر اكثر من مرة ان التضحية بالنفس والمال اقل ما يجب على الانسان نحو صديقه الامين ، ونحن نسمع هذا الكلام دائما ، ولكن عبد الله لا يسطر الرأي الا بعد ان يعتقده ، ويقوم بتنفيذه دون تردد واحجام . فقد شاء القدر ان يمتحنه امام الناس ، ليظهره في ثوبه الشفاف ، ولقد انتهى الامتحان الرهيب بنجاح ابن المقفع ، وانتصاره في ميدان الكرامة ابهر انتصار » .

ونقبل على الجزء الثالث من « نظرات ادبية » فاذا فصول متوالية متقاربة المنحى والاتجاه ، تعالج الجوانب المضيئة في الشعر الاسلامي ذي الطابع التاريخي ، مع فصول تتحدث عن اعلام بارزين لهم مقامهم الكريم في سجل الادب الحديث ، امثال احمد محرم وحافظ ابراهيم وعبد الحليم المصري ومحمد عبد المطلب واحمد الزين وعبد الرحمن شكري واحمد حسن الزيات .

وبمناسبة ذكر حافظ ابراهيم اذكر ان الكاتب البحاثة عقد فصلا عن « حافظ ابراهيم امير الدعابة » وذكر في ختامه انه كان شغوفا في صباه بجمع نوادر هذا الشاعر الكبير ، وشاركه في هذا الشغف صديقه ورفيق صباه الاستاذ محرز أحمد خفاجي ، وكذلك الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف الكاتب الاديب الجليل ، ومن عجائب الاتفاق في هذا الميدان انني في سنة ١٩٤٠ نشرت سلسلة من المقالات نحو عنوان « طرائف حافظ » في مجلة « منبر الشرق » الاسبوعية لصاحبها الاديب الشاعر المجاهد الوطني المضيع بين قومه المرحوم الاستاذ علي الغاياتي ، وقد حاولت في ذلك العهد البعيد – سنة ١٩٤٠ – ان احصل على مزيد من هذه الطرائف عن طريق القصاصات الضخمة التي جمعها المرحوم الاستاذ محمد مسعود ، وفيها قدر كبير عن حافظ ابراهيم ، واتصلت مرارا بولده الطبيب ، ولكن لم ينفتح امامي الباب في هذا المجال ، وليت واحدا من الادباء يعنى بجمع ما كتبه الاساتذة : الدكتور رجب والاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف والاستاذ محرز خفاجي وصاحب هذه السطور ، ويضم الى ذلك ما قد نعثر عليه من طرائف شاعر النيل ، ويدرس ذلك دراسة ادبية تكون لونا من تخليد ذكرى حافظ ابراهيم عليه رحمة الله . ولولا اني احيا حياة مذعورة لاقدمت على القيام بذلك الواجب ، ومن يدري ، لعل الله يهيء امامي الاسباب .

وبمناسبة ذكر الاستاذ احمد حسن الزيات اذكر ان الاستاذ الزيات قد فتح امام الدكتور رجب باب النشر في مجلة الرسالة ، كما فتح له باب النشر في مجلة الازهر طيلة المدة التي رأس فيها تحرير هذه المجلة ، وقد صال فيهما الدكتور رجب وصال بمقالاته الطيبة ، وقد تحدث الدكتور عن الزيات حديثا جميلا رقيقا مفعما بروح الحب ونزعة الرضى ، وصفحات الزيات في تاريخ الادب المعاصر كثيرة قد فرضت نفسها بنفسها ، لولا زلة عوراء بلقاء افقدته الكثير من رضى الناس عنه في اخريات أيامه ، قبل رحيله عن هذا العالم بقليل ، وقد تمثلت تلك الزلة في مقاله الذي نشره في مجلة الازهر في شهر المحرم سنة ١٣٨٣ هـ بعنوان « امة التوحيد تتوحد » . وقد هاجمه الكثيرون بسبب هذا المقال ، ونظم فضيلة الاستاذ احمد حسن الباقوري قصيدة مئوية حمل فيها حملة صارمة على الزيات ، وتداولها الناس حينذاك ، وبين يدي نسخة كاملة منها . ولكن هذا الموضوع يحتاج الى طويل بيان .

وفي الجزء الثالث يكشف الكاتب عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور ان امير الشعراء احمد شوقي هو اول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، ولكن هذا الذائع المشهور ينافي الواقع ، لان الشيخ خليل اليازجي قد بدأ الشعر المسرحي في صورته البدائية في اواخر القرن التاسع عشر ، ثم توالت محاولات اخرى : سورية ولبنانية ، الى ان نظم شوقي فصولا من مسرحية « علي الكبير » اثناء اغترابه في فرنسة ، وهي المسرحية التي يبدو ان صاحبها يرضى عنها فآثر بقاءها منزوية في اوراقه حتى اعاد كتابتها في اواخر ايامه ، وظهرت للقراء بصورة جديدة ، بعد ان فاجأ الناس بمسرحية « كليوباترا » وما تبعها ، ابتداء من سنة ١٩٢٩ م .

هكذا قرر الباحث الصديق ، واحب ان اناقشه فيما ذكره من ان امير الشعراء لم يرض عن مسرحية علي الكبير فأبقاها منزوية في اوراقه حتى اعاد كتابتها بعد ، فقد سمعت من الدكتور محمد مندور – وقرأت له بعد ذلك في كتابه مسرحيات شوقي – ان احمد شوقي رحمه الله كان كثير التردد على مسرح الكوميدي فرانسيز في باريس ، حيث شاهد الكثير من روائع الادب التمثيلي الكلاسيكي والرومانتيكي والمعاصر ، فاولع بهذا الفن ، وعن له ان يحاكيه ، ووضع بالفعل المسرحية الاولى من مسرحياته « علي الكبير » ، وارسلها الى القصر متوقعا ان يطير بها الخديوي فرحا ، وبعد حين تلقى شوقي من رشدي باشا ما يفيد ان الخديوي قرأ المسرحية ، وناقشه في بعض اجزائها ، وتفكه بها ، وكان هذا هو كل تقدير الخديوي لها ، وما أتفهه من تقدير في نظر الشاعر المغترب ، ومن الواضح البديهي ان الخديوي لم يكن ينتظر من شوقي ان يصوغ مسرحيات ، بل كان ينتظر منه المزيد من المديح وتخليد الذكر ، فثبط ذلك عزيمة شوقي ، ولذلك طوى المسرحية بين اوراقه الى ان رجع لها في اواخر حياته ، وصاغها من جديد .

وفي الجزء الرابع نواصل رحلتنا مع الكاتب الاديب المنقب البحاثة المتفنن في مقالاته ، كالطائر يتنقل بين الاغصان والافنان ، والاشجار الحوافل بالثمار ، فيقطف من هنا ، ويقطف من هناك ، ويقطف من هنالك ، ومن فصول هذا الجزء فصل ممتع طريف بعنوان : « حديث مع رمضان » وقد تخيل الشاعر فيه انه قابل رمضان في النوم ، واجرى معه حديثا ، بصورة تدل على خيال ادبي رائع ، وعلى نزعة صحفية عند الكاتب ، فقد كان بارعا في اجراء هذا الكتاب .

وينتقل الكاتب الى الحديث عن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة » ويتعرض للحديث عن عزته وابائه ، ويستشهد على ذلك بابياته السائرة المشهورة ، التي جاء في اولها :

يقولون لي : فيك انقباض ، وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما

وقد ساق الكاتب للجرجاني عشرة ابيات كما يفعل الكثير الذين استشهدوا بهذه الابيات ، حيث يقتصرون فيها على هذه الابيات العشرة ، حتى ظن أغلب القراء ان الجرجاني لم يقل غير هذه الابيات العشرة ، مع انني وجدت رواية لهذه الابيات بلغت عشرين بيتا ، وقد نشرتها بتمامها في فصل كتبته عن الجرجاني في الجزء الثاني من كتابي « بطولات اسلامية وعربية » .

وبعد ، فقد امتد حبل الحديث وما قلت كل الذي اريد عن أخي الدكتور رجب ، وقبل ان القي بالقلم راجيا ان تتهيأ فرصة اخرى لمعاودة الحديث ، احب ان اهمس في اذن الاخ الصديق ان كتابه « نظرات ادبية » بأجزائه الاربعة اشبه بحديقة كبيرة فسيحة ، فيها شتى الالوان من الازهار والثمار ، ولكنها تحتاج الى تنسيق شكلي ، فالجزآن الاول والرابع – مثلا – ليس فيهما فهرس ، وليته جمع الاجزاء الاربعة متوالية في مجلد واحد ، وجعل في آخره فهرسا مفصلا لموضوعاته وشخصياته ، وليته ضم الاشباه الى الاشباه ، والنظائر الى النظائر ، وليته جعل الحديث عن كل شخص مجموعا في موطن واحد ، بدل تفريقه هنا وهناك ، فقد تحدث عن شعراء في الجزء الاول ، ثم عاد اليهم في الجزء الرابع ، او الثالث ، مثل احمد محرم وشوقي وحافظ وشكري والبحتري والجزار .

على ان هذه الملاحظة الشكلية لا ينال من قيمة الكتاب ، فانه لحافل بالجهد الكبير الذي بذله صاحبه الاديب البحاثة ، فله من الادب وأهله صادق تحية وخالص تقدير .

القاهرة — أحمد الشرباصي

لم تعرفني الشمس

سامية كيالي القبيسي

في مساء بلا لون
جامد كالحياة
كنت معك أسمع قصة وهم
وأبني حلما .
كنا في الظل ، بين غصون الورد
حتى تخدر العشب ، واصفرت جذور السنابل
حينذاك بكينا من المسرة
وضحكنا من البؤس
وفجأة ، عميت أنا ، وصرت أنت وهما
تتضاءل وتتضاءل
في خيوط الحلم ، وتذوب
والظلام متربع على عرش اكتئابي
فأسقط بين أجفاني واختفي
ويدهشني ان اسمعك
لو ندت عنك حركة او صوت
أنا ما زلت معك ..
ايه يا شاعري
لا تدع العمر يمضي مذابا في الحلم
والحلم صفير . قطار .
تحليق جناح عندليب مهاجر
يعانق النجم ، يحطم الكوكب
بفكك عقدة السحرة
يداوي جرح الاساطير

يا شاعري ..
أيها الضائع ، علمتني ان احلم
والاحلام لا نهاية لها .
تجذبني . تعيدني مخضبة
أبكي من المسرة ، وأضحك من البؤس
وشمس بلادي لا تعرفني
ولا امطار تغرقني
لقد اظلمت السماء ..
أين أشعة القناديل
أين الحروف تبهرني ؟
آه ، أصرخ من نكبتي
من أجله ارتبط بالارض
انسج خيوط الوهم
ومن أجله ضاع الحلم
وتحجر الواقع .

بللو هوريزنت ـ البرازيل

قصة

تمثال من الثلج

بقلم جهاد الكاتب

غمس احمد قدميه في الثلج المرصوف على امتداد الشارع ، واحس برطوبة لذيذة تتسرب عبر الحذاء الى اصابع قدميه .

الشارع الثلجي يمتص الضجة ، ويبتلع اصوات الاطفال ، واشجار الحديقة المستسلمة نسجت عليها اشكال رائعة . كما رسمت زخارف هشة على الجدران . اما العصافير التي نفشت ريشها فهي اكثر خفة ورشاقة على الرغم من اشتداد جوعها !

اطفال الحي ، صنعوا وسط الشارع تمثالا ثلجيا بدينا ، البسوه قبعة سوداء ، وصنعوا له عينين زجاجيتين قائمتين ، ووجها عابسا ، وحملوه صحنا مهترئا ، وضموا الى صدره مكنسة مأكولة .

وجد احمد متعة لا تعوض وهو يغرس حذاءيه في الثلج ، واكثر من **هذا ، فقد** غمرته موجة تقول : الحياة سعيدة . في هذه اللحظة لم تعد خواطره وذكرياته المحزنة ذات بال ، فكل ما حوله جميل ، والحياة تستحق ان يعيشها الانسان . شعور غريب ، ولكنه واضح يحس به كلما سار على البساط الثلجي او نظر من النافذة يرقب رزانته وهو يسقط .

نظر الى ساعة معصمه فاستمهل قدميه . عليه ان يعود فهذه الجولة قد اعادت الى نفسه ثقة وراحة كان يفتقدهما . ففي البيت تنتظره اكداس دفاتر ليصححها ويدون ملاحظاته الميتة عليها . منح نفسه نصف ساعة اخرى يكمل خلالها جولته في شوارع تكاد تكون خاوية . وتمنى الا يلحظه احد من طلابه ، فقد يخطر ببال احدهم ان يداعب استاذه بكرة ثلجية محشوة بقطعة صلبة .

عند المنعطف برز فجأة رجل جاوز الاربعين ، وهو يلف نفسه بمعطف طويل . التقت عيونهما ، فتباطأت الخطوات . لعل المفاجأة استوقفتهما قليلا ، ولا يدري احمد ان كان **يعيش حقيقة او وهما** ، او حلما ، فقد استيقظت دفعة واحدة كل ذكريات احمد واحلامه وآماله وواقعه واختلطت اختلاطا مدهشا ، **يصعب معه تمييز الحلم عن الذكرى** او الرغبة والواقع !

تابع احمد ثلاث خطوات ، ثم توقفا ظهرا لظهر ، واستدار كل منهما ببطء وحذر . التقت نظراتهما الشرسة ، وتفجرت البراكين المحبوسة الخامدة دون ان توقفها **قطع الثلج الذي بدا ساخنا ملتهبا** ، وهو يسقط على وجهيهما .

الشارع طويل ، واشجاره مختبئة تحت ردائها الابيض . وقف احمد قريبا من سور قصير يدقق في وجه الرجل ، اراد ان يتحقق ، ان **يتأكد** ، هل هي الحقيقة ! وطال وقوفهما ، والصمت يتحرك في صدريهما ويتململ . صاح الرجل بعنف مكبوت :

ـ انت .. !

تلقى احمد الكلمة بصمت وذهول الا ان قسمات وجهه ناءت بالقسوة والعنف . والتفت قبضتاه في جيبه . ورد بصوت مكبوت ايضا :

ـ انت .. !

الان يقف احمد وجها لوجه مع الخصم . فمنذ سنوات لا يعرف عددها بالضبط استطاع الرجل ان يسلبه كل شيء .. اعلامه ، وذكرياته ، ومستقبله . تقدم خطوة متحفزة الى الامام وتقدم الرجل خطوتين ، والغضب مزروع على صفحة وجهه القائمة .

كان احمد يحب ، وبنى آماله **ومستقبله على هذا الحب .. قصة** عادية لا تستحق الكتابة ، كما يقول **عنها ، فالذين فشلوا في حبهم** هم معظم الرجال . وكأن كل قصة حب **يجب ان تنتهي نهاية محزنة ، واذا** حدث العكس فهذا امر يدعو الى **الاستغراب !**

حجم الهزيمة ازداد يوما بعد آخر ، وداهمه شعور خفي بان **الرجل لم يسرق منه فتاة فقط** بل هو سبب فشله المستمر ، وهو الذي صنع مصيره على الصورة التي **يعيشها . لم يره من قبل** ولم يعرفه ، ولكنه كلما ابتعدت الايام الاولى احس انه يموت ببطء . فكل احلامه وخيالاته اصبحت فراغا اسود ، وكثيرا ما يشعر انه انسان مهزوم ، فاشل ، جبان ، انتهى به المطاف لتتكور احلامه وتنقبض ويصبح في اثرها معلما تزكم انفه رائحة الاحذية المطاطية التي يلبسها الصغار ، ويحمل العصا ، ويخفيها في كم سترته . لقد تصور مستقبله اكثر اشراقا ، واجمل اياما . وها هو ذا الان قد فقد كل ما يجعله سعيدا .

الان يريد ان يثبت لنفسه على الاقل انه حين يضرب تلاميذه بعصا الزان ، وغالبا ما تكون صارمة مؤلمة ، يستطيع ايضا ان يقابل الكبار ، المنتفخة عضلاتهم !

انه لم يعد يطيق ان ينتظر مصيره المحتم ، جيفة تسخر منها العيون الصغيرة البريئة .

الثلج ما زال يتساقط ، ولكنه **الان اكثر هيبة ، ورزانة . وقطعه تلتف وتدور حول احمد والرجل ،**

اجراس العيد

●

شبعنا من الايام يا شمس يوشع	ومن يلتهم فجر الثمانين يشبع
لغيري نواقيس الكنائس رنمت	فما احتشمت او هممت مرةمعي
تحاورني في كل عام لانني	أودعها فيه بشعري ومدمعي
تعود فتلقاني فتفجر غيظها	بقرع على أذني يوقر مسمعي
وهبني غدا في زفة العيد اطرشا	ستشهدني اومي اليها باصبعي

باريس

جورج صيدح

ويتشربهما المعطفان السميكان . قال الرجل بحدة :

— انا امامك .. ماذا تريد !

لم يكد الرجل يكمل الحرف الاخير حتى عصفت قبضته المتعرقة بفكه فطوحته .. ترنح الرجل اولا من هول المفاجأة ، ثم تماسك عند حافة السور المتجلد . وبدات زفراته تتصاعد مستعجلة . وخرج البخار من انفه وفمه سريعا متلاحقا . وبدا احمد يريد ان يفرغ كل طاقته ، كل قوته المختزنة منذ امد بعيد . وما كاد الرجل يعود الى انتصابه وتحفزه ، حتى عاجله احمد بلكمة ثانية ، اشد عنفا ، وتمتم :

— اريد اكثر من هذا ..

انتشى بهذا الانتصار السريع ، اذ لم يكن يتصور ان هذا سيحدث بهذه البساطة ، كما انه لم يعتقد ان قبضته تكتنز مثل كل هذا العنف .

بدا لهاث الرجل واضحا متقطعا، فانتفض كمن يستيقظ فجأة على قطرات ماء بارد تسكب على وجهه المتورم والمنتفخ . حتى خصلات شعره المصبوغ تهدلت ، وبدت غزيرة متوحشة . استند احمد الى حافة السور ، وقد اتقدت عيناه ، ولم يعد يعرف لنفسه هدفا في الحياة سوى قتل هذا الرجل . وسرعان ما اندفع الرجل بجنون وعاجل احمد بضربة شرسة اتقاها بأن انفتل امامه فزلقت قدم الرجل واختل توازنه ، فهوى جسمه ، وارتطم وجهه بحافة السور المتجلد، وصدرت عنه صرخة ضعيفة :

— سنلتقي ..

وقف احمد على بعد خطوات ، وهو يرقب انزلاق جسم الرجل على السور وتكوره ، ثم سكون حركته فوق الثلج . وكأن خيطا احمر قد بدأ يتطاول ويتطاول وينمو على صفحة الثلج .

استدار احمد ، وقد اوهمه الفزع ، والجم تنفسه . فرك عينيه هل اصبح قاتلا ! مسح وجهه بكفه ، وصعدت الى راسه جمرة نار ، لفحها يحرق الفم والوجه والعينين .. هل اصبحت قاتلا .. وهذا الخيط الاحمر الى اين يمتد !!

راحت قدماه المرتبكتان ترسمان بقعا متعرجة ، والثلج يتراقص امامه كعفاريت مكشوفة ، كأنه يتبعه ليسقط فوقه ، ليطمره ، ليخفيه . ومن بعيد كان الرجل قد استحال الى نقطة سوداء على صفحة طويلة، بيضاء . تساءل احمد . هل كنت احلم ؟! ولكن يدي تؤلمني وعيني تدمعان !!

حين وصل احمد الى التمثال الثلجي بدت ملامحه اكثر رقة وسماحة ، ولكن عينيه الزجاجيتين سقطتا . وقف احمد ، وقد انزاح من صدره كابوس كاد يمزقه . وظل يشعر بعمق الفزع . وشيئا فشيئا يبست ساقاه ، وتثلجت يداه ، وتجمد راسه .. تجمد .. وشعر انه اصبح تمثالا ثلجيا ..

حلب

جهاد الكاتب

خفا حنين

يقال حنين كان في الناس عاملا / أخا حرفة ما زال يصنع أخفافا
وكان فقيرا ذا عيال كثيرة / يضيق بها ذرعا وتضنيه الحافا
فمر به في ذات يوم مغفل / ذميم من الاعراب يقبح أوصافا
فأعجبه خف من الجلد أحمر / رآه على الاخفاف في حسنه نافا
فقال بكم ذا الخف ؟ قال بتسعة / دراهم عدا ، قال ما قلت انصافا
خذ أثنين بل نصفا أزيد عليهما / فقال : اغد عني زدته منك اجحافا
فقال رعاك الله هاك ثلاثة / من البيض تغدو عند مثلك آلافا
ودعني أوافي الحي بالخف هانئا / أخال به نفسي أميرا اذا وافى
فقال اقتصر يا ذا الغباء فانني / أراك بليد العقل ما زلت مخلافا
فخل الخفاف الحمر واذهب مخيبا / كريها تراها في منامك أطيافا
فأدبر زيد وهو يشتم مغضبا / حنينا مسفا بالشتيمة اسفافا
فغاظ حنينا منه ما سبه به / وأضمر أن يولي له الشر أضعافا
فراح فالقى شق ذا الخف نفسه / على دربه مستهدفا منه أهدافا
وسار قليلا ثم ألقى بمثله / على الدرب أيضا واستسر لمن جافى
فاقبل زيد فوق راحلة له / وقد حملت من حاجة البيت أصنافا
ترجل لما ان رأى الخف قائلا / أيا عجبا من يزرع الدرب أخفافا
أخف حنين ما ارى أين شقه ؟ / فقبح من خف وقبح خفافا
والقى به أرضا وسار كأنما / دهاه بمس طائف الجن عزافا
فلما رأى الثاني ترجل ضاحكا / وأمسكه والبشر في وجهه طافا
لقد حزت هذا اليوم خفا مباركا / أباهي به في حلقة القوم أشرافا
وكر على رجليه يطلب شقه / وناقته في القيد ترسف ارسافا
فهب حنين حينذاك وقادها / وجاب بها من شاسع الارض أطرافا
وقال شفيت النفس فليعد خاسئا / الى حيه يرتاد في الحي عرافا

ويرجع زيد للعشيرة ذاهلا / وفي يده الخفان والليل قد وافى
يحدث ليلاه بما قد جرى له / فقالت لك الويلات كم كنت متلافا
أضعت بهذا الخف رحلا وناقة / كدأبك طول الدهر جهلا واسرافا
فبات بنونا دون ما يمسك الحشا / خماصا وما لاقوا من الضر اسعافا

وجاءت نساء الحي يخطرن بكرة / يصبحنها بالخير حبا وايلافا
بماذا اتى زيد ؟ فقالت ودمعها / على صفحة الخدين ينهل مذرافا
أتانا لحاه الله يا بئس ما أتى / بخفي حنين وهو يهتز أعطافا

حلب

محي الدين الحاج عيسى



حارث طـه الراوي

عبد اللطيف الفلاحي

بقلم حارث طـه الراوي

***

ما اكثر رجالنا المخضرمين الذين تمردوا على ظلم وظلمات العهد العثماني الرجعي المقيت فأسسوا الجمعيات الثورية والنوادي التحررية وذاقوا في سبيل مبادئهم القومية مرارة السجن والنفـي ، حتى اذا اصبح العهد العثماني اثرا بعد عين وبسط الغزاة البريطانيون ظلهم الرهيب على ارض الرافدين ، تهافتوا على الغازي الجديد يلتمسون منه الثمن بعد تقديم الطاعة والولاء مباركين لـه نكثه للعهود راضين بالاصفـاد والقيود .

ولم يكن المرحوم عبد اللطيف الفلاحي الضابط الكبير المجاهـد والمربي العالم العامل مـن هؤلاء ، في عهـد الغنائم ، بل كان في طليعة الذين عزفت انفسهم الابية وشهامتهم العربية عن ولوج هذه الحلبة . فآثر ان يكون ركنا من اركان حزب ياسين باشا الهاشمي المعارض ونائبا معارضا في المجلس النيابي واستاذا لمادة التأريخ في المعاهـد العالية والمدرسة الثانوية . ولسان حاله بيت القاضي الجرجاني الشهير :

ولم أقض حق العلم ان كان كلما بـدا طمع صيرتـه لـي سلمـا

ولد عبد اللطيف محمد سعيد الفلاحي في محلـة « الفلاحات » ببغداد سنة ١٨٨٣ . ودرس في المدارس الحربية الموجودة في بغـداد آنذاك ثم انخرط في سلك المدرسة الحربية في الاستانة سنة ١٩٠٠. كما ذكر في اضبارته وليس سنة ١٩٠١ كما ذكر الاستاذ مير بصري في ترجمة الفلاحي بكتابه « اعلام اليقظة الفكرية في العراق ، ص ١٠٠ » . وتخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩٠٣ وتدرج في المناصب العسكرية حتـى وصل الى رتبة وكيل قائد اركان حرب . وكان يوفـق بين حياتـه العسكرية وحياته الثقافية فاتيح له بسعيه الثقافي المتواصل ان يصبح حجة في التأريخ القديم والحديث ومربيا من الطراز الاول لـه آراؤه القيمة في التربية والتعليم . وفضلا عن ذلك فقد كان شاعرا كما علمت من أصحابه ، الا انني لم اقف على شيء من شعره ، سوى قصيدتـه الاخوانية في مدح صديقه الحميم المرحوم مولود مخلص باشا المنشورة في كراس « بطل معركة وادي موسى » . وبلغني من شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الفلاحي انه كان يقرض الشعر بالتركية وله ديوان خطي فيها يدرج في عداد آثاره المفقودة . وكان الفلاحـي يجيـد الفرنسية اجادة تامة ويلقي محاضرات فيها على طلبة المدارس الحربية العثمانية قبل الحرب العظمى .

وكان من الضباط العرب الاحرار الذين لم ينكسوا الرأس امام المظالم العثمانية ، وانخرط في سلك حزب اللامركزيـة وحوكم بسبب نشاطه السياسي هذا فحكم عليه بالاعدام في بداية الامر ثم استعيض عن الاعدام بالنفي الى منفى سيواس في تركيا الذي نفي اليـه الاديب الثائر ولي الدين يكن . وخصصت الحكومة العثمانية آنذاك جاسوسين تنكرا بلبس الجبة والعمامة لمراقبة حركات وسكنات عبد اللطيف الفلاحي فتظاهرا بصداقته ولم ينقطعا عنه حتى بعد الافراج عنه وعودته الـى بغداد ، فكانا يزورانه في منزله بمحلة « الفلاحات » ، ومن رفاقه في المنفى من العراقيين « رشيد الخوجة » و « مزاحم الباجهجي » .

انفك الفلاحي من الجيش العثماني والتحـق بالجيش العربـي السوري سنة ١٩١٩ واصدر في دمشق الشام مجلة « العلوم » سنـة ١٩٢١ ولم تعمر طويلا . واثناء وجوده في دمشق سنة ١٩٢٠ هزته انباء الثورة العراقية الكبرى علـى الاستعمـار البريطاني الغاشم وانتخب عضوا في المؤتمر العراقي المنعقـد في دمشـق في ٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ (١) وقرر مع زملائه اعلان استقلال العراق ووجوب جلاء الجيوش البريطانية عنه ، حيث ورد في البند الاخير من القرار :

« .. واننا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنـا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبيـة في بلادنا راجين منهم ان يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عـن بلادنا العراقية ليحل محلهم الجند الوطني والادارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ مـن ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن . هـذا وان الحكومـة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ هذا القرار » (٢) .

ولم تلتزم الحكومة العراقية الاولى التي تشكلت بعد هذا القرار بهذا القرار التاريخي وانما رضخت للانتداب البريطاني الغادر المتنكر لكل الوعود والعهود . والافاضة في هذا الموضوع تخرجنا عن نطـاق الترجمة الموجزة لحياة الاستاذ الفلاحي .

ولما عاد الفلاحي الى العراق اصدر جريدة « الفلاح » سنة ١٩٢١ وكانت جريدة وطنية ذات اتجاه ثقافي تربوي تأريخي ، وقـد عمرت بضعة اشهر .

وعلى ذكر جريدة « الفلاح » لا يمكننا تجاهل ما زعمه عنها السيد

---

١ ـ تألف المؤتمر العراقي من الاعضاء التالية اسماؤهم مع حفظ الالقاب ، مندوبو مقاطعة بغداد وجنوبي العـراق : جعفـر العسكري وسعيد الشيخلي وتحسين علي واسماعيل نامق وسامـي الارزفهلي وفرج عمارة وناجي السويدي وتوفيق السويدي ويونس وهبي وحامـد صدر الدين واحمد رفيق ونوري القاضي ورشيـد الهاشمي وصبيـح محمد ورضا الشبيبي ومحمد أديب وعبد اللطيف الفلاحي وتوفيـق الهاشمي ومحمد البسام .

مندوبو الموصل وشمال العراق : جميل المدفعي وعلـي جودت الايوبي وعبد الله الدليمي ومكي الشربتلي وابراهيـم توحلـة وثابت عبد النور واسعد الصاحب (الثورة العربية الكبرى ـ تأليف امـين سعيد مجلد ٢ ص ٣٤) .

٢ ـ أمين سعيد ص ٣٤ .

فائق رفائيل بطي في كتابه « صحافة العراق تاريخها وكفاح اجيالها » ص ٤٦ – ٤٧ في معرض حديثه عن الحكم الاهلي في العراق تحت التاج الفيصلي حيث قال :

« ... فمهدت سلطات الاحتلال في العراق لهذا الحدث صحافة موجهة تفرض شروط بريطانيا ليتقبلها الشعب العراقي . وصدرت في بغداد خمس صحف هي : جريدة « الفلاح » لصاحبها عبد اللطيف الفلاحي ، صدرت في ٢٠ حزيران ١٩٢١ وأدت واجبها المرسوم على الوجه الاكمل ، وتم بعد ذلك تعيين صاحبها مديـرا للشرطة واوقف اصدارها في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ » .

والظاهر ان السيد فائق لم يطلع على جريدة « الفلاح » كما اطلعنا عليها وكما اطلع عليها صديقنا والده المرحوم رفائيل بطي ، وانما اعتمد على ما نشره والده عنها في كتابه « الصحافة في العراق » (ص ٨١ – ٨٢) . ولكن الاستاذ رفائيل الذي يعرف وطنية وإباء ونزاهة استاذه الفلاحي لم يذكر عنه انه ادى دورا بواسطة جريدته مرسوما له من الانتداب البريطاني كما توهم السيد فائق بطي ...

اما تأييد الفلاحي لترشيح فيصل على عرش العراق فقد كان مشروطا ، وفيه تحذير صريح لفيصل من مغبة التفريط بحقوق العراق في السيادة التامة وحقوق الشعب في الحرية والعدالة وسيادة القانون فقد ذكر المرحوم عبد اللطيف الفلاحي في افتتاحية العدد التاسع من جريدته « الفلاح » الصادر في ١٠ تموز ١٩٢١ حول هذا الموضوع ما نصه :

« .. فعما قليل سنرى ايدي الامة العراقية في يد اميرها المعظم تبايعه على السمع والطاعة وتطلب منه ان ينشر لواء العدل بين افرادها على اختلاف طبقاتهم وان يذود عن قضيتها ويدافع عن حقوقها دفاع الشفيق عليها الحريص على سعادتها لان الطاعة لا تشاد اركانها الا على دعائم العدل والقانون والا فالطاعة التي تستكره عليها الامة تكون اوهى من بيت العنكبوت فمن أراد ان يطاع الطاعة الحقيقية فعليه ان يجعل القانون هو العامل الاكبر في جميع شؤونه . فهذا « هنري الرابع » ملك الانكليز جمع وزراءه وبطانته وسراة مملكته يوم تتويجه فقال لهم « عاهدوني على الطاعة بما آمركم به فاني عاهدت نفسي على الطاعة للقانون في كل عمل اعمله » .

واما لويس السادس عشر ملك فرنسة فكان يقول : « ارادتي هي القانون » . ولم يمض على ذلك الا ردح من الزمن حتى رأينا الاول يزحف بجيشه الجرار على فرنسة فضم الى مملكته معظم بلادها ورأينا الثاني يرزح بقيوده في اعماق الباستيل ...

تتطلب الامة ممن تبايعه ان يكون ملكا دستوريا يستمد اعماله من مجلس نيابي مسموع الصوت ومحترم الآراء . وان يجعل موضع ثقته الاكفاء من ابناء هذا القطر وينتقي لحكومته رجالا اكفاء شعارهم الاخلاص والوطنية الصادقة ... » .

واوقف الفلاحي اصدار جريدته « الفلاح » في اواخر كانون الثاني ١٩٢٢ حيث عين مديرا لشرطة بغداد . وكان صاحب هذه الوظيفة مقيدا بتوجيهات الموظف البريطاني « ولكنسن » الذي كان مفتشا للشرطة ، ولكن الفلاحي فرض شخصيته القوية المتزنة على هذا المفتش المتنفذ الذي اضطر على احترام آراء الفلاحي واعماله ، ثم ما لبث الفلاحي بعد مدة غير طويلة من الزمن ان وجد نفسه مضطـرا للاصطدام مع الموظفين البريطانيين الذين ألفوا فرض آرائهم فاستقال في ٥ حزيران ١٩٢٢ وقبلت استقالته في ٦ تموز ١٩٢٢ . وآثر ان ينصرف الى تدريس مادة التاريخ في بعض المدارس العراقية كدار المعلمين وجامعة آل البيت والمدرسة الثانوية . وكان يجيد مادة التاريخ حفظا وتدريسا اجادة تامة بسبب اطلاعه الواسع على المراجع التاريخية في اللغات العربية والتركية والفرنسية . وقد نبغ من تلامذته ادباء وشعراء وكتاب اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : مصطفى جواد ورفائيل بطي ويوسف يعقوب مسكوني وعبد الرزاق الحسني وحافظ جميل وحسين جميل وعزيز شريف ومحمد بسيم الذويب وغيرهم ، وهم يجمعون على غزارة علم استاذهم الفلاحي وطيبة قلبه وأريحية نفسه . وقد حدثني مرة تلميذه الدكتور مصطفى جواد قائلا : « كان الفلاحي ذا طريقة عصرية خاصة في تدريس مادة التاريخ تميزه عن سواه من الاساتذة الذين تلقينا عنهم العلم » .

وانتخب الفلاحي نائبا عن الحلة في مجلس النواب العراقي وذلك في ١٦ تموز ١٩٢٥ وكان يومئذ ركنا شديدا من اركان حزب الشعب المعارض الذي يتزعمه ياسين باشا الهاشمي ، فكان من نواب المعارضة الجريئين الصادقين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم حتى انتهاء نيابته بسبب مرضه في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٨ .

وفي سنة ١٩٢٦ انتخب عضوا في « لجنة الاصطلاحات العلمية » التي كانت تقوم بمهام مشابهة لمهام المجمع اللغوي والتي كان رئيسها « معروف الرصافي » مفتش تدريس اللغة العربية والاعضاء « الاب انستاس ماري الكرملي » منشىء مجلة لغة العرب و « طه الراوي » مدير المطبوعات و « عز الدين علم الدين » استاذ الطبيعيات والادب العربي في دار المعلمين والمدرسة الثانوية و « الدكتور امين المعلوف » مدير الامور الطبية في الجيش العراقي و « توفيق السويدي » مدير الادارة العدلية و « رستم حيدر » سكرتير الملك ورئيس الديوان الملكي. اما سكرتير الشرف فكان « رفائيل بطي » مدير ديوان الرسائل في وزارة الداخلية .

كانت للفلاحي ندوة ادبية علمية في مطبعته « الفلاح » الكائنة في مقابل « سوق الصفافير » الحالي ببغداد . وكانت له في احدى غرف الطابق الثاني من المطبعة مكتبة تضم امهات الكتب التاريخية والادبية والعلمية باللغات العربية والتركية والفرنسية التي كان يجيدها الاستاذ وكان مجلسه في مكتبته من امتع المجالس في بغداد خلال العشرينات فقد كان يضم كبار رجال الادب والسياسة ووجوه بغداد في ذلك العهد .

ورشح سنة ١٩٢٨ مديرا عاما للمعارف ولكن المرض حال دون تعيينه ، فقد أصيب بداء خبيث في امعائه فاصطحبه شقيقه الاصغر عبد الرحمن الفلاحي للاستشفاء في لبنان ، فعجز الطب عن شفائه ، فعاد الى بغداد حيث توفاه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الجمعة الموافق ٣١ آب ١٩٢٨ فهز نعيه الشعب العراقي وابنته الجرائد الوطنية . ومما قالته جريدة « الاستقلال » الوطنية المعارضة لصاحبها الصحفي الباسل المرحوم عبد الغفور البدري على اثر وفاته :

« نشبت يد المنون مخالبها بروح المأسوف عليه عبد اللطيف الفلاحي الذي اوقف حياته لاعلاء مستوى شعبه العلمي .

ترك الفقيد خدمة السلاح فتنكب القلم ودام يخوض معمعان العلوم . وما أنس من نفسه الكفاءة الفائقة الا واخذ يصول في ميادين الجهاد العلمي ويجول في ساحاتها . فكان رحمه الله صحافيا وكان بحاثة وكان مدرسا وكان خطيبا ومحررا ، وكان لا يترك بابا لم يطرقه في سبيل الفوز بهذا الجهاد الخ .. » . (العدد ١٢٩١ – السنة ٩ – ٢ ايلول ١٩٢٨ ص ٢) .

وقد أقام له صديقه الوفي الاستاذ محمود صبحي الدفتري حفلة تأبينية في داره أنشد فيها الشاعر الشهير جميل صدقي الزهاوي قصيدة في تأبين صديقه الفقيد الكبير نشرها فيما بعد مختصرة في ص ١٦ من ديوانه « الاوشال » الصادر سنة ١٩٣٤ ومما قاله فيها :

لهفي على الحر الموسد	في الثرى عبد اللطيف
لهفي على الامل الذي	عبثت به أيدي الحتوف
لهفي على ذاك اللسان	الرطب والقلب الرؤوف
ما شئت من صدق ومن	حذق ومن رأي حصيف
لم ينشرح في الجيش من	قطع الجماجم والانوف
فقضى برجحان اليراع	على البنادق والسيوف
ما اكبر النفس التي	في ذلك الجسد النحيف

الحب

دعني وشأني واشجاني وآلامي
عشت الخيال وعشت الشعر ابعثه
والشعر موج الشذا في كل قافية
والشعر نبت جنان عاش مبتئسا
والشعر صوت لنفس ضامها الم
اطوي الحياة على هم أكابده
اعيش في غمرة التذكار منخطفا
وما الحياة وما تحويه من عبر
في ثلة من غوان رحت انشدها
من كل فاتنة مغناج ساحرة
وما الغواني اذا لج الزمان بنا
يحيينا بعد اذ طال العذاب وقد
لولا النواعم كان الكون مقبرة
فهن ريحانة الدنيا بلا جدل
والحب في الكون نور الله منبسط
تعنو البرايا لديه وهي صاغرة
من ليس يهوى الذي تسخو الحياة به
أن الوجود لفريد يفرده
اسبح الحسن لا آلو له طلبا
والله حب ونور فائض دفقا
فعش له ابدا ما دمت ذا رمق

هيهات تدرك شأن الشاعر السامي
كالرعد طورا ، وأنا مثل أنسام
كالفجر في موكب الانوار بسام
في بيئة جففت ازهار احلام
تفتقت عن خيال مبدع دام
وانتشي سابحا في جو الهامي
عبر الفراغ تهز الافق انغامي
سوى الغناء وقرع الجام بالجام
شعرا فبادرن يستعجلن ابرامي
كبسمة الروض غب العارض الهامي
الا رحيق السما للواله الظامي
يغنيننا بعد حرمان واعدام
لكل من نهلوا من فيض الهام
وبسمة (...) في انعامه الطامي
على البسيطة من نحو واعلام
وتستضيء به في سدف أظلام
فانه صنم ما بين اصنام
على غصون الهوى الحان تهيام
فالحسن يقربني من عرش علام
على شفاف فؤاد الشاعر السامي
فالحب للنفس مثل الماء للظامي

لاباز - بوليفيا — جورج الكعدي

استاذ تاريخ الشعوب	وجهبذ الادب الطريف
قد كان اكبر همه	منع العسوف عن العسيف
يسعى ليدرأ جاهدا	حيف القوي عن الضعيف

وقد خلف المرحوم الفلاحي المؤلفات المطبوعة التالية :

١ - دروس التاريخ في ثلاثة اجزاء الاول في (التاريخ القديم) والثاني في (تاريخ العرب) والثالث في (تاريخ القرون الوسطى) .

٢ - التحليل الصرفي (صدر منه جزء واحد فقط) .

اما مؤلفاته الخطية والمنشورة في الجرائد فهي :

١ - معجزات الارادة (يقع في ١٨ ص) بخط يد المؤلف ما زال محفوظا عندي .

٢ - كتاب النشء او تهذيب النفس بالنفس (٩ مقالات نشرها متسلسلة في جريدة « نداء الشعب » البغدادية) وقد جمعتها في دفتر من القطع المتوسط يقع في ٢٣ ص .

٣ - تربية الطفل اساس عظمة الامم (وهي مقالات تربوية واجتماعية نشرها متسلسلة في جريدة « نداء الشعب ») . نشرت الحلقة الاولى منها في العدد الثاني ٢١ كانون الثاني ١٩٢٦ ص ١ والاخيرة في العدد الصادر في ١٤ حزيران ١٩٢٦ ص ١ . وقد ذكر في المقالة الاخيرة بانه سينشر ثلاثة كتب عن « الامة » و « الحكومة » و « كتاب النشء » . ولم اقف له على كتابيه عن « الامة » و « الحكومة » .

٤ - افتراء الترك على التاريخ والعرب (رد تحقيقي على الباحث التركي اسماعيل حقي بك احد اركان الجيش التركي حول ارجاعه ابراهيم الخليل - عليه السلام - الى اصل تركي !. ويقع هذا الرد الطويل في (٩) مقالات نشرت بصورة متسلسلة في جريدة «الاستقلال» البغدادية ابتداء من العدد ٥٤٢ الصادر في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥ . وقد جمعتها في دفتر يقع في (٣٩) ص) .

٥ - مقالات في جريدة « الاستقلال » نشرها سنة ١٩٢٥ حول عروبة الموصل وعراقيتها .

٦ - مقالات تاريخية واجتماعية نشرها بجريدته « الفلاح » (١٩٢١ - ١٩٢٢) .

٧ - مجموعة خطب ومناقشات مدونة في محاضر مجلس النواب العراقي في العشرينات .

بغداد — حارث طه الراوي

من سفر الازمان

الطائر غنى عبر الشرفه
ليمد جناحا يهدينا وردات محترقه
وبرفق أغلقنا في داخلنا الابواب
وتركنا جدران الغرفـه
لـم نسمع أحرفه القلقه
ودلفنـا في السرداب

عفـــوا
فكلانا متهم بالوغد
نتخاذل في الوعد
نتلمس جدران الصمت
نغـدو .. نعـدو
نتسابق .. نهرب من رعد الموت
في جانب احدى الحانات
نسترسل في الكلمات
همســا
همســا
نسترسل في الكلمات
تتمطى فينا الاقزام
وتداعبنا أحلام الفجر العائد
فننـام
ويدثر أضلعنا الوهم الراكد

مطـر .. أوراق ..
أزهـار .. أقمـار ..
ريح تملؤها بالخوف
ورأينا عصفورا يهوى من قمة سيف
فمشينا للخلف
ومـررنـا ..
أنشدنا سفـر الصلوات
صارت للارجل آلاف الخطوات
وذبحنـا شاة حبلى
أطعمناها للاغنـام

وعبرنا يومـا ذاك النهـر
وقذفنا ما في جعبتنا من زهر
وصلبنا حوتـا فوق الصارى

في كل صباح نفمد فيه مدينتنا
من بعد القهوة نطفىء فيه سجائرنا
فتحن دمانا للون الشفقى
فنراه لحنا عربيد النغمه
ثغـرا تفاحـى البسمه
بعـد القهـوه

الطائـر مـات
وعلى شفتيه بعض الانسام
أيتـام
وحملنا جثته الشوهاء
ومددنا أيدينا وبحثنا في الاشلاء
وسكبنا دمعة حزن عصريه
ونزعنا أوراق الشجر الصامت
ونسجنا معطفنا الاخضر
غنينا لحن الضوء الخافت
وثملنا تحت اللون الاحمر

هـل تسمـع ؟
دقات طبول الامـوات ؟
أمطار الصيف تجىء
وثلوج القطب تذوب
وهناك اللحن دفىء
همسات همهمة صرخات خلف الغابات
وصفير الريـح رداء
غطى عـرى الربوات
برجـاء
بنـداء

هذي السحب الثكلى عزفت حلم الغد
هل تسمع أغنية الرعـد ؟
هل تعرفنـي ؟
لا تغمض عينك عن عيني
فكلانـا متهم بالوغـد
نتخاذل فـي الوعـد

القاهرة عبد الشافي عبد الحميد داود



عبد الغني العطري

مع الطفيليين في اخبارهم

بقلم عبد الغني العطري

***

في تاريخ المجتمع العربي فئة من الناس طبعت هذا المجتمع بالمرح ، ولونته بالنادرة وخفة الروح .. ورويت عنها في ثنايا الكتب اجمل الطرف ، والطف الملح ، فضلا عن القصص الشيقة ، والاخبار التي يقهقه سامعها طربا ، ويبحث عن المزيد منها .

هذه الفئة التي عنيت هم الطفيليون الذين الفوا دخول المنازل ، وحضور الولائم والحفلات والاعراس دون دعوة ، وربما دون معرفة احد من اصحاب العرس او الوليمة . وقد رفع الطفيليون شعارا ساخرا في الحياة عبر عنه شاعرهم بقوله :

نحن قوم متى دعينا اجبنا ... ومتى نُنس يدعنا التطفيل
ونقل : علنا دعينا فغبنا ... واتانا فلم يجدنا الرسول

ومن عادات الطفيليين انهم يتسقطون اخبار الولائم ، ويتبادلون المعلومات في هذا الشأن ، كيلا تضيع مع ايديهم اية فرصة . والطفيلي ، رغم الجهامة التي يبديها حين دخوله المأدبة ، ضاحك الوجه ، خفيف الظل سريع البديهة . وربما عرفه اصحاب الولائم والحفلات ، فأغضوا عنه وتغافلوا ، طمعا بخفة روحه ، ورغبة بمشاهدة حركاته ، وهو يلتهم الطعام ، دون اعتدال او روية .

جعل احد الطفيليين لنفسه حكمة اعجب بها وراقته ، فنقشها على خاتمه ، والحكمة تقول :

« مالكم لا تأكلون ؟ »

هذا كان شعار احدهم ، اما مجموعتهم فكانوا يؤمنون بما قاله واحد منهم :

نحن قوم ان جفانا النا ... س ، وصلنا من جفانا
لا نبالي صاحب الدا ... ر نسينا ام دعانا

هذا هو شعارهم ، وهذا هو نهجهم في الحياة : ان جفاهم الناس واصلوهم ، ولا يبالون سواء دعاهم صاحب الوليمة ام نسيهم . انها شعارات مرحة ، تصور مبلغ اصرار هذه الطائفة على حضور الولائم .

يقول احد الطفيليين :

دعوت نفسي حين لم تدعني ... فالحمد لي ، لا لك في الدعوة
وقلت ذا احسن من موعد ... اخلافه يدعو الى الجفوة

انهم ابدا حريصون على مودة الناس ، وعدم مجافاتهم ، ولا سيما لدى اقامة الولائم ؟

وهناك نصيحة لطفيلي وجهها الى رفاقه وصحبه وابناء « مهنته » وذكرها صاحب « العقد الفريد » في كتابه . ويقول الطفيلي :

اذا دخل احدكم عرسا فلا يلتفت تلفت المريب ، ويتميز المجالس ، وان كان العرس كثير الزحام ، فليمض ولا ينظر في عيون الناس ، ليظن اهل المراة انه من اهل الرجل ، ويظن اهل الرجل انه من اهل المراة . . . فان كان البواب غليظا وقاحا ، فتبدأ به وتأمره وتنهاه ، من غير ان تعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والادلال » .

قيل لطفيلي : لا يحق لك ان تأكل من طعام لم تدع اليه . فقال هذا خلاف قول الله تعالى حيث قال : « ليس على الاعمى حرج » الى قوله : « ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم » الى قوله : « او بيوت اخوانكم » . وقد قال الله عز وجل : « انما المؤمنون اخوة » .

وقد نصح ابن الدراج الطفيلي رفاقه وزملاءه في المهنة فقال :

« لا يهولنكم اغلاق الباب ، ولا شدة الحجاب ، وسوء الجواب ، وعبوس البواب ، ولا تحذير الغراب ، ولا منابذة الالقاب ، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا اللكزة الموهنة ، واللطمة المزمنة ، في جنب الظفر بالبغية ، والدرك للامنية ، والزموا الخفة للواردين والصادرين ، والتملق للمهللين والمطربين ، والبشاشة للخادمين والموكلين ، فاذا وصلتم الى مرادكم ، فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين فانكم احق بالطعام من دعي اليه ، واولى به ممن وضع له ، فكونوا لوقته حافظين ،

ابو القاسم الشابي

فاضل خلف

***

فـي تـونس الخضراء بين	الحسـن والمـاء النمـير
حيـث الطبيعـة تزدهـي	وتجـود بالفـن الوقـور
حيـث الجـداول تـرسل النغمـات اثنـاء الخريـر	
حيـث الجبـال الراسيات	تتيـه بالثلـج الغزيـر
حيـث الازاهـر تمـلأ الـرحـب المضمـخ بالعبـير	
حيـث المـروج تـلألأت	كالنجـم كالبـدر المنـير
حيـث اصطفاق المـاء في	الشطـآن أو بـين الصخور
حيـث البلابـل غـردت	عنـد الاصائـل والبكـور

وفي طلبه مشمرين » .

واورد صاحب زهر الآداب وصفا شيقـا للطفيـلي قـال فيـه :

« شيطان معدته رجيم ، وسلطانها ظلوم ، هو آكل من النار ، واشرب من الرمل ، لو اكل الفيل مـا كفاه ، ولو شرب النيل ما رواه » .

ولعل اكثر الطفيليين شهرة في تاريخ العرب اشعب بن جبير . فقد رووا انه كان ظريفا من الظرفاء ، وشاعرا من الشعراء ، ومطربا معدودا بين اهـل عصره ، يضاف الى ذلك جواب محكم لاذع ، وبديهة حاضرة ، ونكتـة لا تفارق شفتيه ... فنسي الناس كل هذا في اشعب ، وذكروا اشعب الطفيلي ، الذي يأكـل بنهم لا يوصف ، ويبحث عن الولائم والاعراس ، دون ان يكـل او يسأم . قيل لاشعب :

ما احسن الغناء ؟ قال : نشيش المقلي ؟. قيل له : فما اطيب الزمان . فقال : اذا كان عندك ما تنفق . وكان اشعب يغني :

الا اخبرت أخبـارا	اتت في زمـن الشـدة
وكان الحب في القلب	فصار الحب في المعـدة

وكان لاشعب جارية تدعـى رشأ يتصنع عشقهـا ويتردد عليها . وسئل يوما ان يصف ما في قلبه نحوهـا من الحب فأنشد :

اذا كان في بطني طعـام ذكرتها	وان جعت يوما لم تكن لي على ذكر
ويزداد حبي ان شبعت تجـددا	وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكري

قيل لاشعب ذات يوم :

ــ ما بلغ من طمعك ؟ قال : ــ

ــ ما زفت عروس في المدينة الى زوجها ، الا كنست بيتي وفتحت بابي ... لعلها ان تهدى الي !..

قيل لطفيلي : اي سورة تعجبك في القرآن ؟ قال : المائـدة .

قيل : فأي آية ؟

قال : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : آتنا غداءنا .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : ادخلوها بسلام آمنين .

قيل : ثم ماذا ؟ قال : وما هم منها بمخرجين .

مر طفيلي على قوم يتغدون ، فقال :

ــ سلام عليكم يا معشر اللئام .

فقالوا : لا والله بل كرام .

فثنى ركبته ونزل وقال : اللهـم اجعلهم مـن الصادقين .. واجعلني من الكاذبين ؟

دخل طفيلي على قوم يأكلون فقال :

ــ ما تأكلون ؟ فقالوا من بغضه : سما . فأدخل يده وقال : الحياة بعدكم حرام ! .

وبعد ... فهذه لمحة جد صغيرة عـن الطفيليين واخبارهم ... هذه الجماعة التي أضفت علـى المجتمع العربي ، ولا سيما في الحجاز عامـة ، والمدينة المنورة بشكل خاص ، جوا مـن البهجة والحبـور ، وتناقل اخبارها الكتاب والمؤلفون في الزمن القديم والحديث .. وستظل هذه الجماعة ، مع اخبارها وطرائفها واشعارها، تحتل حيزا مرموقا في ادبنا العربـي ، وستظل نوادرها تعطر المجالس ، وتبعث البهجة ، وتجدد النشاط .

دمشق — عبد الغني العطري

حيث النسائم تنعش الارواح في الدوح النضير
حيث الروابي الخضر أبهجت النفوس مدى الدهور
حيث المياه تدفقت في السهل في الوادي الخضير
حيث الجمال موزع ريان بالسحر المثير

في تونس الخضراء رن بمسمعي صوت السمير
هو صوت شاعرها المخلد في القلوب على العصور
(كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير)
صوت غدا متمكنا بين الحنايا والصدور
قد رددت دنيا العروبة لحنه عند المسير
هي في تقدم مجدها قبست من الشعر الجهير
شعر تسامى ذكره في عالم العرب الكبير
في شعره الوطني للاحرار ومض سنا ونور
نادى بكسر القيد لم يعبأ بشر مستطير
شر تحدى في المرابع كل حر مستنير
يصبو لتحرير البلاد من المفاسد والشرور
يصبو لنشر الحب والآلاء والخير الوفير
يصبو لبعث الشعب من رقداته خلف الستور
فالاجنبي بأرضه نشوان يرفل في السرور
ويتيه في الخضراء بين مرابع زهر ودور
يطأ المرابع غاصبا ويعيش تيها في القصور
هل يسكت الشعر الجريح على المصائب والثبور
هل يسكت الشابي وهو لسان موطنه الصبور
هل يسكت الشادي المفرد عن ملمات المغير
كلا فما خلق المفرد للسكوت على النكير
فرسالة الشعراء يذكي قدسها صدق الشعور
والصدق عند الشاعر المطبوع من وحي الضمير

يا شاعر الخضراء حدق من ترى بين الزهور
من ذلك المفتون بالخضراء بالشعب الهصور
أعرفته يا أيها الشابي من خلف الخدور
هو شاعر من مشرق الامجاد جاء الى الثغور
للمغرب العربي حب ملء خافقه الطهور

يا تونس الخضراء هذي باقة فيها شعوري
قد صغتها من غور أعماقي لشاعرك الشهير
فتقبليها أنها خفقات قلبي في سطور

تونس ـ سفارة الكويت

فاضل خلف

سليم اليعقوبي - جورج سكسك

عبد الرحيم محمود - احمد محمدية

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ سليم اليعقوبي

ولد الشيخ سليم بن الشيخ حسن اليعقوبي عام ١٨٨٠ في مدينة « اللد » بفلسطين وتوفي عام ١٩٤٦ وتكنى بـ « ابي الاقبال اليعقوبي » واختار « حسان فلسطين » توقيعا ادبيا لقصائده .

وبعد ان أتم اليعقوبي علومه الابتدائية في مسقط رأسه ارسله والده الى الازهر الشريف طلبا للعلم وامضى في رواق الشوام اثني عشر عاما ، وتميز بحفظ الغزير من الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، وكان له من هذا الرصيد الادبي الضخم ثروة ساعدته على نظم المطولات الشعرية .

وفي سنة ١٩٠٤ عاد « ابو الاقبال » من مصر الى فلسطين وعين في العهد التركي مفتيا لمدينة يافا ، واشترك مع « البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية » التي أمر السفاح جمال باشا ناظر البحرية والقائد العام للجيش الرابع المخيم في سورية وفلسطين بتأليفها ، وقد بدأت سيرها برا في ايلول ١٩١٥ من دمشق الى الاستانة .

وبعد الاحتلال البريطاني نفي « ابو الاقبال » الى معتقل سيدي بشر في الاسكندرية ، اذ كان من الداعين الى الجامعة الاسلامية والالتفاف حول الخليفة العثماني ، والعاملين ضد الثورة العربية الكبرى التي دعا اليها شريف مكة الحسين بن علي ، ونظم قصائد ضده واصدر فتوى دينية شجب فيها الانتقاض على الخليفة العثماني والدعوة الى الثورة العربية .

وعقب ايابه من المعتقل الى يافا عين واعظا في مسجد حسن بك الجابي بالمنشية ، وكان في طليعة الشعراء العرب الذين قاوموا بشعرهم « الوطن القومي » اليهودي ، وحين منحت حكومة الانتداب شركة روتمبرغ الصهيونية امتياز تمديد الكهرباء في كافة قطاعات فلسطين ، وشرعت الشركة في نصب الاعمدة في شوارع يافا انشد « اليعقوبي » قصيدة وطنية قال منها :

قالوا « الخوازيق » في يافا قد انتشرت
فقلت ايامها السود هاتيك « الخوازيق »

ودرج « اليعقوبي » على قضاء معظم اوقاته في جامع حسن بك القريب من منزله ، وكان يتخلف الى مجلسه في هذا المسجد نخبة من مثقفي يافا وكان بعضهم يدرس عليه اللغة العربية التي كان فارسا في حلبتها ، فكان يشرح لهم الفية ابن مالك ويلقي دروسا خاصة على حفنة من شبان يافا امثال الشاعر المرحوم مصطفى درويش الدباغ والسادة محمد البيطار وعزت الجبالي وسليمان ابو غوش واحمد ابو لبن .

وفي سنة ١٩٤٦ قصد مكة المكرمة لاداء العمرة فنزل في ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود وتوفي هناك ودفن في ام القرى .

من آثاره القلمية : خلف الشيخ اليعقوبي طائفة من الآثار المطبوعة ، ووقفنا على الكتب المطبوعة التالية :

١ ـ حكمة الاسلام ـ طبع سنة ١٩٠٧
٢ ـ حسنات اليراع (مجموعة شعرية)
٣ ـ النظرات السبع (مجموعة شعرية) طبعت سنة ١٩٣٠ .

نماذج من شعره : اشتهر « ابو الاقبال » باعتداده بنفسه وبكثرة النعوت التي يطلقها على نفسه ... فمرة ينعتها بـ « شاعر الشام » وفي ذلك يقول :

وكفاني انني ذو حسب   « شاعر الشام» وحسبي حسبا

ومرة ينعتها بـ « شاعر الشرق » وفي ذلك يقول :

سنتي في الوداد سنة حر   « شاعر الشرق » لا يوفيه شكره!

ومن قرأ شعر « اليعقوبي » لمس مغالاته بنفسه ، وزهوه بشعره ، وهو في نظره الى نفسه « المفرد العلم » الذي لا يجارى و « الفارس المجلي » الذي لا يبارى في دنيا القريض :

علمتني الآباء نظم القوافي   بيراع يرى القريض شعارا
فنظمت العقود منه الى ان   كنت في الارض شاعرا لا أجارى
أين مني ذوو القوافي وهل في   الشرق غيري تملك الاشعارا

ويزهو بشعره ... ويبدي رأيه فيه بقوله :

ادير به عذب القريض وانني   لعذب قريضي دون غيري منبع
وهل في زماني شاعر وابن شاعر   سواي اذا ما انقاد للشعر مسمع
تطيع لآليه يراعي وانها   لمثل يراعي من بناتي اطوع
فأين المعري وامرؤ القيس من فتى   له الشعر كالعضب المهند طيع
وأين « أبو تمام » مني وشعره   كليل وشعري دونه الصبح يسطع
اذا قلته يشدو يراعي بآية   فيطرب دهري حينما الدهر يسمع

ومن طريف شعره في هجر الشعر ثم العودة اليه :

طلقت شعري بالثلا   ث طلاق ربات النهود
والله لست بشاعر   ما دام غيري في الوجود
هجم الضعيف على القر   يض ، فهل تناضله الاسود

ومن قوله ايضا في هجر الشعر :

قالوا : الطلاق عليك ليس بواقع   فارجع لنظم قلائد العقيان
فاجبتهم : لا انظم الشعر الذي   لعبت بآيته يد الصبيان
ولئن رجعت فلا أصوغ قصيدة   الا بسيفي او بحد سناني
قالوا : نعم ، لك ما تحب وان في   نظم الحماسة رفعة الانسان
فنظمت حتى ساعدتني همة   ادركتها بعناية الرحمن

ولم يخل شعره من ذم دهره والزهو بنفسه وفي ذلك يقول :

يحاربني دهري ولست احاربه   ويوسعني عتبا فهلا اعاتبه
وما انا بالمرء الضعيف فؤاده   ولا بالذي ضاقت عليه مذاهبه
تخذت لنفسي مطلع الشمس موطنا   على ان لي في الارض ما انا طالبه

كفاني يراع يعلم الله انه   أمير تهز المشرقين كتائبه
هو الشرف الاعلى ، هو المجد والهدى   هو العلم الاسمى ، وكفي صاحبه
فيا دهر لا تطمع بفتكي ، فانني   حليف ثبات حنكته تجاربه

وعلى هذه الوتيرة الرتيبة ، الخصبة بالثروة اللفظية يواصل « اليعقوبي » قوله :

يعيب علي العلم غر تقوضت   قواه كأنني بالجهالة عائبه
وكم تهزأ الاعداء بالعلم جهدها   وحسب عدو الفضل ذما معائبه
وعما قريب ينبذ الجهل ربه   فتنبو نبوي عن بنيه مواكبه
رعى الله مضمار العلوم فلي به   غرام شجي آثرته كواعبه
ولابدع ان سيقت الي عناقه   فلي « والد» سيقت اليه شواذبه
ومن ورث العلياء عن خير والد   سرت كأثير الكهرباء مواهبه
فعما قريب يغلب الدهر بطشه   واني بعون الله لا شك غالبه

وفي هذه القصيدة التي تزيد على سبعين بيتا يصور « اليعقوبي »

بطولاته ، ويقول لمن يلقاه في طريقه : « انا ابن جلا وطلاع الثنايا ! » :

وما أنا الا السيف والسيف صارم   مضاربه تشكو ظباها ضرائبه
أصول على الاعداء صولة ضيغم   تطير به طير الهزار سلاهبه
فاقضي على غيري اذا سل سيفه   واودي به حتى تباد معاطبه
وأفعل بالايام فعلي باهلها   وبالدهر ما يرمي اليه محاربه
وازجر من طير الخطوب غرابها   فلا يؤلم السارين في الليل ناعبه

وفي الثلاثينات سجل « اليعقوبي » على القائمين بالحركة الوطنية الفلسطينية تقاعسهم واسترسالهم في نوم عميق ... فنظم ابياتا خاطب بها صديقه الشاعر وديع البستاني ونشرها في جريدة « الصراط المستقيم » بتوقيع « أنا » :

أ « وديع » لم تجهر بصوتك عاليا   والدار حتى اليوم في اغلالها
تشكو ولما يستمع لشكاتها   أحد وما تشكو سوى أهوالها
فالفاتحون وما بهم من رحمة   لم يعملوا الا على اذلالها
هم زلزلوها حينما نزلوا بها   وكفى الخطوب تزيد في زلزالها
فلم السكوت وانت بالادب الذي   اوتيته بالحق من ابطالها
انا ما عهدتك في فلسطين سوى   رجل الجهاد تجد في استقلالها
فاجهر بصوتك والبغاة كما ترى   فلعله يقضي على آمالها
واعطف على تلك العروبة مثلما   عطفت عليك وانت من اشبالها
فلانت ممن راح يكبر شعره   ببني فلسطين « أبو اقبالها »
لمن السرادق اعجبته فلتقل   في هذه الايام من امثالها

فيجيبه البستاني وكنيته « ابو فؤاد » بأبيات موجهة الى « أنا » :

« أبا الاقبال » ناد « أبا فؤاد »   وانت « أنا » وننفخ في رماد
وقلبك مثل قلبي في التياع   وشعرك مثل شعري في النوادي
ولو طربت سعادك للقوافي   لما بانت ولا بانت سعادي
نفتها بواديها اشتياقا   وهودجها وقد ظعنت بواد
ومن بعد اتحاد الشمل بتنا   تشتت شملنا بعد اتحاد
قلوب حية يوما ويوما   قلوب من موات كالجماد
أنقدم ثم نحجم ثم نصحو   فنرقد ثم نمعن في الرقاد
وربة نائم وله غطيط   يؤرق نائما فوق القتاد
وقتلانا بعقر الدار هدر   دماؤهم تصير الى سماد
فان زرع الشقاق وراح ينمو   فيا ويلاه من يوم الحصاد
« أبا الاقبال » انت أنا رثاء   لضادك في معاشرنا وضادي
وبالعالي جهرت وبح صوتي   وما يغنيك صوت أبح صاد

ونختتم هذا الفصل بابيات من مرثاة ارسلها « اليعقوبي » في يوم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

دقت الساعة مذ دق الردى   جرسا في مصر هز الخافقين
قل لمن كفنه في بردة   من نبات الارض او في بردتين
لم لم تنسج له من خلقه   ومن الرقة فيه كفنين

٢ ــ جورج الخوري سكسك

ولد « جورج » في بيت المقدس عام ١٨٧٨ وتعلم في مدرسة الروم الارثوذكس وتلقى العربية وآدابها على المعلم المرحوم وهبة الله صروف في مدرسة المصلبة وبعد تخرجه عين مدرسا في مدرسة مار متري بالقدس التابعة لبطريركية اورشليم الارثوذكسية وعين مفتشا للمدارس الارثوذكسية في فلسطين والاردن واشتهر بتضلعه من اللغتين العربية واليونانية وكان يحسن التركية ، وعرف بمقدرته في الترجمة من العربية الى اليونانية وبالعكس ونشر مقالات في مجلة « النفائس » لصاحبها المرحوم خليل بيدس وفي جريدة « القدس » لمنشئها جرجي حبيب حنانيا .

وفي يوم الثلاثاء الواقع في ٢٢ ــ ٦ ــ ١٩٧١ توفي بالقدس اثر سكتة قلبية ودفن في مقبرة صهيون .

من آثاره القلمية : اتسمت الابحاث التي عالجها المرحوم سكسك بالطقوس الدينية وكتب القراءة ، ومن الآثار التي نشرها :

١ ــ السواعي الكبير (مترجم عن اليونانية) طبع عام ١٩١٤
٢ ــ الدر النظيم في تاريخ العهد القديم ــ طبع عام ١٩٢٨
٣ ــ قانون العائلة البيزنطية وقانون الموارثة ووصايا الوراثة المعروفة بقانون الاحوال الشخصية للمسيحيين الارثوذكس (مترجم عن اليونانية) طبع عام ١٩٣٠
٤ ــ القديس انطون البادوي ــ طبع عام ١٩٤٦
٥ ــ القراءة العصرية (ج١) طبع عام ١٩٤٤
٦ ــ القراءة العصرية (ج٢) طبع عام ١٩٣٥
٧ ــ القراءة العصرية (ج٣) طبع عام ١٩٣٥
٨ ــ القراءة العصرية (ج٤) طبع عام ١٩٣٥
٩ ــ الهدية السنية في الصلوات المدرسية طبع عام ١٩٤٤

نموذج من نثره : المرء مطبوع منذ حداثته على البحث والتنقيب والوقوف على الاسرار والمخبآت . وكثيرا ما يدعوه حب البحث الى الاهتمام بأصغر الامور فيعكف على درسها غير مكترث لما يعانيه من المتاعب والمصائب في تتبع آثارها واستجلاء غوامضها . وكم من عالم ساقه حب الاكتشاف الى البحث عن حشرات الارض ونباتاتها فخاض البحار وجاب القفار وتسنم الانجاد وتسلق الاطواد وتبطن الاودية وسار في مهامه مجهولة ملأى الوحوش الضواري والافاعي السامة غير مبال بوعثاء السفر وعناء البحث . فالرحالة الافريقي لفنستون لم تردعه هجمات الاسد عن اتمام رحلته المحفوفة بالاخطار . والرحالة الاسوجي الدكتور سفن هدن لم تثبطه الاهوال التي لاقاها ابان قطعه الصحراء العظيمة في تركستان الشرقية من متابعة سيره .

ومن الغريب ان الانسان ينزع احيانا الى البحث في الاشياء البعيدة المفقودة ويقعد عن درس القريبة الموجودة . فمن الاشياء القريبة التي اغضينا عن استقراء تاريخها آنية الزجاج وهي مما عم انتشاره وكثرت الحاجة اليه فأصبح من ضروريات الحضارة . وقد رأيت مقالات مسهبة في تاريخ الزجاج في المجلد الرابع والعشرين من مجلة الطبيعة اليونانية (فيسس) فعنيت بتلخيص بعضها بتصرف لما في ذلك من الفائدة لقراء مجلة النفائس العصرية الغراء .

فالزجاج جسم ناعم شفاف صلب رنان لا لون له سهل الانكسار لا يقبل التطرق ولا يتأثر غالبا بالعوامل الجوية . وفي المانيا يصنع من صهر مخلوط من اثني عشر جزءا من الكورس وستة عشر جزءا من كربونات البوتاسيوم وجزأين من الجير (الكلس) الحي في بواتق من الاجر الخالص . ولاكساب الآنية الزجاجية الشكل المطلوب طريقتان النفخ بالانبوب والضغط بالقوالب . وربما اتينا على وصفهما في مقالة اخرى .

اما زمان اكتشاف الزجاج والمكان الذي صنع فيه في بادىء الامر فمجهولان . فقد زعم البعض انه كان مستعملا عند قدماء العبرانيين ويستدلون على ذلك بما قاله ايوب عن الحكمة « ولا يقاس بها الذهب ولا الزجاج » (ايوب ٢٨ : ١٧) . غير ان القديس ايرونيموس هو اول من ترجم اللفظة العبرانية بكلمة (الزجاج) وقد ترجمها غيره بكلمة (الماس) و (الحجر اليماني) و (البلور) ونحو ذلك . اما بلينيوس

---

١ ــ بيلوس ويعرف الان بالنعمين نهر في فلسطين مخرجه بين شفا عمرو وعكاء ويقال انه النهر الوحيد الذي يعيش فيه التمساح في هذه البلاد . وقد ذكر يوسيفوس فلابيوس هذا النهر في الجزء الثاني رقم ١٨٩ من كتابه المسمى « الحرب اليهودية » اذ قال ما ملخصه : وعلى مسافة استادتين (الاستادة نحو ١٨٩ مترا) من ظاهر مدينة عكاء يوجد نهر بيلوس ينحدر ماؤه الى واد مستدير فيؤلف بحيرة مساحتها مئة ذراع مربعة فيها رمل نقي يؤخذ لصناعة الزجاج الخ ...

اللاتيني فقد نسب اختراع الزجاج الى الفينيقيين بروايته ما يأتي : « قيل ان بعض التجار الفينيقيين بعد ان ارسوا سفينتهم عند مصب نهر بيلوس (١) خرجوا الى اليابسة ليطهوا غذاءهم ولما لم يجدوا على الرمال حجارة ليجعلوها موقدا اخرجوا من سفينتهم قطعا من النترون التي كانوا يتاجرون بها وصنعوا منها موقدا . الا ان حرارة الموقد أذابت املاح النترون ومزجتها بالرمل فنشأ عنها مزيج تكون منه بعد برودته جسم صلب شفاف هو الزجاج .

غير انه لا يمكن الاخذ بصحة هذه الرواية لان حرارة الموقد لا تكفي لصهر الرمل المختلط بهذه الاملاح ولان الزجاج لا يصنع الا باتاتين شديدة الحرارة تبلغ حرارتها ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ درجة . وربما اتصل الانسان الى صنع الزجاج من المقذوفات البركانية وذلك لانه يتبع الطبيعة في كل اعماله فلا يبعد ان يكون قد رأى هذه المقذوفات المتزججة فعني بصنع قطع صغيرة من جنسها .

ولا ريب في ان الزجاج من اختراع قدماء المصريين . فقد كانوا يصنعون الزجاج الملون ويزخرفون به جدران مدافنهم ويدهنون به مصنوعاتهم الخزفية . وقد أكد العالم الاثري الدكتور فلاندرس بتري ان المصريين زاولوا صناعة الزجاج قبل المسيح بنحو اربعة آلاف وسبعمئة سنة اي قبل بناء الاهرام وقبل ظهور الرومان .

ووجدت في مدافن بني حسن في ثيبة رسوم قيل هي من ايام الملك أسورطاسن الاول احد ملوك الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية تمثل اناسا من اهل ثيبة ينفخون الزجاج . وانابيب النفخ المرسومة في الاثر المذكور تشبه الانابيب المستعملة في العصر الحالي كل الشبه .
ولما جاء الفينيقيون الى سواحل الشام سنة ١٤٠٠ ق. م واخذوا يمصرون المدن اشتهروا في تجارة الزجاج وانشأوا لها مراكز تجارية على شواطىء بحر الروم والاوقيانوس الاتلنتيكي .

واشتغل بالزجاج الاشوريون ايضا . فقد وجد في انقاض نينوى عدسيات من الزجاج وكؤوس وآنية اخرى بينها اناء من الزجاج الاخضر الشفاف هو الان في المتحف البريطاني محفور عليه صورة أسد واسم الملك سرجون الاشوري والقابه حفرا ظاهرا وهو من مصنوعات اوائل القرن الثامن ق. م.

واخذ اليونانيون ماخذ المصريين والفينيقيين في صناعة الزجاج فنبغوا فيها كما يتضح ذلك من الاثار الزجاجية التي اكتشفت في مدافن دالي في جزيرة قبرص .

ولما انتصر الامبراطور الروماني اوكتافيوس على المصريين (سنة ٢٦ ق. م) ضرب عليهم الجزية واضطرهم الى ارسال مقدار وافر من مصنوعاتهم الزجاجية الى رومية . ثم دخلت صناعة الزجاج رومية في ايام شيشرون وكان اذ ذاك اغنياء الرومان يتخذون آنية الزجاج للزينة ويستخدمون الكؤوس الزجاجية للشرب في المآدب الكبيرة . ومما يدل على تقدم صناعة الزجاج في رومية اناء بورتلند او بربريني الشهير المحفوظ في متحف لندن وجد في اواسط القرن السادس عشر في ناووس قرب رومية قيل انه اجمل المصنوعات الزجاجية لذلك العهد . وبقي في قصر بربريني مدة تنيف على قرنين ثم ابتاعه دوق بورتلند بمبلغ ١٠٢٩ ليرة استرلينية واهداه الى متحف لندن . والاناء المحفوظ في متحف نابولي . واناء مكتبة ستراسبورغ الشهير . وكان المشتغلون بصناعة الزجاج في رومية يقيمون في حي كبير خاص بهم .

وفي سنة ٣٢٧ انشأ قسطنطين الكبير مصانع عديدة للزجاج في القسطنطينية ومنح المشتغلين فيها امتيازات شتى واعفاهم من دفع الضرائب فزهت صناعة الزجاج وارتقت ارتقاء عظيما .

ولما عاد البنادقة (الفينيسيون) من الحملة الصليبية استصحبوا كثيرين من الزجاجين المقيمين في القسطنطينية الى بلادهم فاغدقت جمهورية البندقية انعاماتها على هؤلاء الزجاجين ومنحتهم حق التملك العقاري واعفتهم من تكاليف مختلفة مضروبة على الوطنيين وانعمت عليهم بالقاب شريفة فكثرت اذ ذاك معامل الزجاج في البندقية وبلغت مصنوعاتها حدا عظيما من الشهرة . وقد حظرت الجمهورية المذكورة على الزجاجين تعليم صناعتهم للاجانب والاباحة باسرارها وتهددت من يخالف اوامرها باشد العذاب واقسى العقاب . ولكي تظل هذه الصناعة سرا محصورا في البندقيين خصصت الحكومة جزيرة مورانو لاقامة الزجاجين وانشاء الاتاتين فيها . ولم يبح لاحد من الزجاجين مغادرة البندقية الا بكفالة وضمانة مالية باهظة واذا لم يرجع الزجاج في الوقت المضروب كان مجلس العشرة القابض على زمام الاحكام في البندقية يعذب كفيله واقاربه واحيانا يسلمهم بدون شفقة الى ايدي الجلاد ليكفروا عن جناية من كفلوا . وفي سنة ١٣١٧ رفعت جمهورية البندقية نير المراقبة والتضييق عن عاتق الزجاجين وأذنت لثلاثة منهم ان يشتركوا في العمل مع استاذ الماني يعرف صناعة المرايا الزجاجية فنالت من وراء هذه الشراكة ارباحا طائلة لان سكان الاقطار الاوروبية تهافتوا اذ ذاك على شراء المرايا الزجاجية واستعاضوا بها عن المرايا المعدنية التي كانوا يستعملونها حتى ذلك الحين . وظل البنادقة متفردين بصناعة وتجارة هذه المراياة مدة طويلة الى ان انشىء مصنع كولبرت في باريس سنة ١٦٦٥ .

وفي سنة ١٦٧٠ اسس الدوق اوف بوكنهام مصنعا للزجاج في بلاد الانكليز وأحضر له عملة من البندقية فآزرته دولته وروجت مصنوعاته ومن ثم كثرت المعامل الزجاجية في اوروبا واخذت هذه الصناعة تتدرج في مراقي الكمال ولا تزال نامية حتى يومنا هذا » .

٣ ــ عبد الرحيم محمود

ولد « عبد الرحيم » عام ١٩١٣ في بلدة « عنبتا » بقضاء طولكرم ، وكان والده الشيخ محمود عبد الرحيم عالما فقيها وشاعرا اديبا ، وتلقى علومه في مدرسة بلده ثم التحق بمدرسة طولكرم المتوسطة واكمل تحصيله الثانوي في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، وبعد تخرجه عين شرطيا في حكومة الانتداب حتى اذا طلب منه ذات يوم القاء القبض على احد الثوار رفض الطلب وقدم استقالته لان منزعه القومي يأبى عليه الاذعان لانظمة المستعمر ! وعين معلما في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، وفيها تعرف على شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم طوقان ، وانبرى يبث في طلابه المبادىء الوطنية التي كان يعتنقها ، ويغرس فيهم روح المقاومة ويحضهم على مناجزة الانتداب شقيق الصهيونية ، ويصور لهم ما بيته « حليف » الامس لفلسطين من شر وطغيان :

واتى الحليف واقام في اعتابنا   متحيرا ، انا هدى المتحير
واستنصر العرب الكرام وانهم   غوث الطريد ونصرة المستنصر
واذا عتاق العرب توري في الدجى   قدحا وتصهل تحت كل غضنفر
واذا السيوف كانهن كواكب   تهوي ، تلامع في العجاج الاكدر
رجحت موازين الحليف ومن يكن   معه يرجح بالعظيم الاكثر
وبنت لنا اسيافنا صرحا فلم   يحفظ جميل العرب ، يا للمنكر
غدر الحليف ، وأي وعد صانه   يوما ، واية ذمة لم يخفر
لما قضى وطرا بفضل سيوفنا   نسي اليد البيضاء لم يتذكر

وفي سن مبكرة نضجت شاعرية « عبد الرحيم » ونما حسه الوطني ، واشتدت مخاوفه من الخطر الصهيوني والمطامع اليهودية التي فسح لها الاستعمار البريطاني مجالا واسعا في ارض فلسطين ، بل في مقدساتها الاسلامية وفي مقدمتها المسجد الاقصى المبارك !

وفي صيف عام ١٩٣٥ زار فلسطين الامير سعود بن عبد العزيز ومر ببلد الشاعر ، فالقى بين يدي الضيف السعودي قصيدة ترحيبية أشار فيها الى الخطر الصهيوني الذي يتهدد فلسطين والمسجد الاقصى وكان منها هذا البيت الذي غدا اشهر من « قفا نبك ! » :

المسجد الاقصى أجئت تزوره   أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟

وكان لهذه القصيدة المؤثرة وقع بالغ في نفوس السامعين ، ولم

تلبث ان انتشرت في كل مكان ، وذاع معها اسم « عبد الرحيم » واخذ الفلسطينيون يرددونها في مجالسهم ، ويتناشدون اشعاره في ندواتهم !

ولم تلبث الثورة ان نشبت في فلسطين سنة ١٩٣٦ فتنادى الفلسطينيون الى حمل السلاح ، وانتشر المناضلون مع اخوانهم العرب في جبال فلسطين ووهادها ، وكان « عبد الرحيم » في طليعة من تنكبوا بنادقهم ، وقد أهلته مواهبه وحماسته الوطنية ليصبح اليد اليمنى لمواطنه القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد المكنى ب « ابي كمال »، يساعده في شؤون القيادة باعداد التقارير العسكرية ، ونشر البلاغات الحربية . على ان هذه الاعمال الادارية لم تحل دون خوضه المعارك ، واشتراكه الفعلي فيها ، وقد عرف عنه اجادة الرمي والدقة في اصابة الهدف كما اشتهر بانه لاعب ماهر في كرة القدم !

وبعد ان اعلنت الحرب العالمية الثانية في اواخر ١٩٣٩ وتوقفت الثورة الفلسطينية الى حين ... توجه الحاج محمد امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين والمناضلون الفلسطينيون الى العراق وفي عدادهم شاعرنا الشهيد « عبد الرحيم » وهناك ادخله السيد الحسيني الكلية الحربية في بغداد مع رهط من المناضلين الفلسطينيين المؤهلين علميا ، وكان على رأسهم القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ، فتلقوا فيها دراسة عسكرية اكسبتهم خبرة ومرانا في الشؤون العسكرية .

وعقب تخرج « عبد الرحيم » من الكلية العسكرية عين مديرا لمدرسة ابتدائية في البصرة ، وبلهفة المتعطش لثرى فلسطين الطهور نادى « عبد الرحيم » من العراق بني وطنه بقوله :

بني وطني ! دنا يوم الضحايا   أغر على ربى أرض المعاد
وما اهل الفداء سوى شباب   ابي لا يقيم على اضطهاد
اثيروا للنضال الحق نارا   تصب على العدا في كل وادي
فليس أحط من شعب قصير   على الجلى ، وموطنه ينادي

ومن صحراء العراق نادى وطنه المستباح ... وتمنى ان لا يلقى الردى قبل ان تكتحل عيناه بمجالي فلسطين :

يا بلادي ! يا منى قلبي ان   تسلمي لي أنت فالدنيا هدر
لا أرى الجنة ان ادخلتها   وهي خلو منك الا كسقر
منيتي في غربتي قبل الردى   ان أملي من مجاليك البصر
ظمئت نفسي لمغناك فهل   بطفىء الحرقة بالعود القدر

وعاد « عبد الرحيم » الى فلسطين ليستانف العمل في تربية النشء العربي في كلية النجاح الوطنية بنابلس الى ان صدر في ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ قرار الامم المتحدة الجائر بتقسيم فلسطين فتجددت الثورة الفلسطينية ... وهنا انضم « عبد الرحيم » الى صفوف المجاهدين ، والتحق بجيش الانقاذ ، وخاض عدة معارك في منطقة جنين وطولكرم الوسطى وفي المنطقة الشمالية من الجليل .

وفي معركة الشجرة (١) اشترك « عبد الرحيم » على رأس فوج من اخوانه المناضلين ، وابلى فيها بلاء مشكورا ، واستولى على بعض مواقع الاعداء . وفيما كان يخوض غمار المعركة اصابته شظية مدفع ، فوقع جريحا ، وسارع بعض رفاقه ونقلوه في سيارة جيب الى المستشفى في مدينة الناصرة ، وفيما هم في الطريق أخذ « عبد الرحيم » يردد على مسمع اخوان الجهاد بصوت الجريح الذي وهب روحه لوطنه الابيات التالية من نظمه :

لعمرك هذا ممات الرجال   فمن رام موتا شريفا فذا
أخوفا ؟ وعندي تهون الحياة   وذلا ؟ واني لرب الابا
بقلبي سأرمي وجوه العداة   فقلبي حديد وناري لظى

وقبل ان تبلغ السيارة الناصرة هوت في واد سحيق ، ففاضت روحه الطهور في ١٣ حزيران ١٩٤٨ ، ولقي وجه ربه راضيا مرضيا ، وختم حياته بالشهادة التي هي اسمى مراتب الحياة ، وحققت السماء قوله :

سأحمل روحي على راحتي   والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق   واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان   ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لا عشت ان لم أكن مخوف الجناب ، حرام الحمى
اذا قلت أصغى لي العالمون   ودوى مقالي بين الورى
لعمرك هذا ممات الرجال   فمن رام موتا شريفا فذا
فكيف اصطباري لكيد الاعادي   وكيف احتمالي لسوم الاذى
أخوفا ؟ وعندي تهون الحياة   وذلا ؟ واني لرب الابا
بقلبي سأرمي وجوه العداة   فقلبي حديد وناري لظى
وأحمي حياتي بحد الحسام   فيعلم قومي باني الفتى

وكما تميز « عبد الرحيم » بشعره القومي ، واسمعه يرثي « حمالا » ألفاه ميتا على قارعة الطريق ، والى جانبه سله وحبله .. والناس يمرون بجثته ... غير مبالين :

قد عشت في الناس غريبا ، وها   قد مت بين الناس موت الغريب
والناس مذ كانوا ذوي قسوة   وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حبلك شناقهم   لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
أو كنت من سلك رزاقهم   لقام عند السل ألفا خطيب
ونزهوا حبلك عن عيبه   وبللوا السل بذوب القلوب
لكنك الحمال ، لم يطعموا   فيك ولم يخشوا أذاك الرهيب
رغيفك الطاهر غمسته   من عرق زاك ودمع صبيب
ما كنت سلابا أخا غصبة   بل كنت ذا حق سليب غصيب
فرحت ، لم يسكب عليك امرؤ   دمعا ، ولا قلب رقيق يلوب
ولم يودعك حبيب ، وقد   يهون الصعب وداع الحبيب

حبلك والسل ، لقد اوديا   بهيبة الموت الوقور المهيب
وفيهما ـ لو انصفوا ـ رفعة   وشاهدا فضل وخير وطيب
قد مر أهل الدرب لم يأبهوا   للمهمل المطروح فوق الدروب
كم قد سالت الناس ماء فلم   يجبك في النزع شفيق مجيب
او استغثت الطب لكنما   لم تملك الاجر فعز الطبيب
او ربما اوصيت او شئت ان   توصي.. فلم يسمعك حان قريب
رب صغير لك خلفته   منتظرا اياك حتى تؤوب
يرجوك للجوع الذي شفه   يا غائبا عنه .. وطال المغيب

من آثاره القلمية : لم يترك شهيدنا « عبد الرحيم » اثرا مطبوعا لتشرده خارج فلسطين ، ولاغراقه في مقارعة الظلم الذي حاق بوطنه ، ولذا ظل شعره موزعا في الصحف والمجلات ، الى ان تنادى نفر غيور في الاردن الى جمع ما يمكن جمعه من شعره ، فتالفت لهذا الفرض لجنة قوامها الاساتذة : عيسى الناعوري وتوفيق ابو شريف وعادل الزواتي وجمعت من قصائده مجموعة طبعتها سنة ١٩٥٨ باسم « ديوان عبد الرحيم محمود » وقدمت ريعه الى اسرة الشهيد الغالي مساهمة في تمكين أبنائه « الطيب » و « رقية » و « طلال » او احدهم ، من اتمام دراسته الثانوية او الجامعية !

٤ ـ أحمد سعيد محمدية

ولد « احمد » في مدينة « حيفا » بفلسطين عام ١٩٣٨ واكمل بعض دروسه الابتدائية في مدرسة الجمعية الاسلامية بمنطقة البرج في « حيفا » وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ هاجر الى بيروت واتم دراسته الابتدائية في « دار الايتام الاسلامية » ودراسته المتوسطة في معهد اوليفر برأس المتن بلبنان ودراسته الثانوية في مدرسة التربية القومية بحي الزمالك في القاهرة وقصد الكويت ليعمل مدرسا في مدرسة الشرطة والامن العام من (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩) .

١ ـ قرية عربية تقع في منطقة الناصرة ، وتقابلها مستعمرة يهودية باسم « السجرة » ، بالسين ، ومعناها بالعبرية الشجرة .

وبعد اربع سنوات امضاها « احمد » مدرسا في هـذه المدرسة التحق بكلية الآداب في جامعة عين شمس ونال شهادة الليسانس باللغة العربية عام ١٩٦٢ ودبلوما في النقـد الادبي مـن الجامعة ذاتهـا عام ١٩٦٣ واعد دراسة لنيل (الدكتوراه) بعنوان « الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة » باشراف الدكتور عبد القادر القط .

وفي عام ١٩٦٣ عاد الى بيروت وانضم الى قلـم تحرير مجلـة « الحوادث » لصاحبها الاستاذ سليم اللوزي وتولى تحريـر صفحتها الادبية ثم انتقل الـى صحيفة « الانوار » اليومية لمؤسسها الاستـاذ سعيد فريحة وعمل معلقا سياسيا فمندوبا متجولا وزار اليمن وقـام برحلات الى الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية والاقطار الاوربية ونشر مقالاته في « الانوار » و« الصياد » و « الحوادث » و « الجمهورية » العراقية و « الايام » السودانية .

وفي عام ١٩٧٠ نضا عنه ثوب الوظيفة ، معولا علـى عصاميتـه ونشاطه وطموحه ، واسس في بيروت « دار العودة : للصحافة والطباعة والنشر والتسويق » وقد اولت هذه الـدار الكبرى النتاج الادبـي الفلسطيني في البسيط العربي والارض المحتلة عناية خاصة اذ اقبلت مشكورة على نشر دواوين شعراء الوطن المغصوب . وصدر عن هـذه الدار خلال عام ١٩٧٠ مئة كتاب تناول السواد الاعظم منهـا احداث النكبتين الفلسطينيتين والحركة الفدائية .

من آثاره القلمية : في المقالات المسلسلـة التـي كانت بعض الصحف اليومية البيروتية تنشرها بقلـم الصحفي « احمد سعيـد محمدية » دلل هذا الكاتب الجريء ، في المغامرات التي قام بها فـي اليمن الجنوبية ، على براعة في تصوير الحوادث وتنبؤ بالاحداث التي واجهت الاقطار العربية في السبعينات . ومـن مؤلفاته التي وقفنـا عليهـا :

١ ـ رحلات في القارة السودانية ـ طبع عام ١٩٦٧
٢ ـ ثورة مايو ... لماذا ؟ ـ طبع عام ١٩٦٩
٣ ـ فلسطيني في ارض الغربة ـ طبع عام ١٩٧٠
٤ ـ الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة ـ طبع عام ١٩٧١
٥ ـ الاقليات في الوطن العربي ـ طبع عام ١٩٧١

نموذج من نثره : « عندما تتسلق الطائرة بك السماء من ضاحية الامتداد في الخرطوم وتبدأ العاصمة المثلثة تتراءى لك كالحلم حقـلا أخضر رحبا ، فان قلبك ـ ساعتئذ ـ لا بد ان يخفق بكل مشاعر الحب والود والحنين ، ولا بد ان تبدأ عيناك صلاة وداع خصبة للمدينة التي تحب بقلبها الابيض الكريم .

وستذكر ـ والضباب قد بدأ يحجب الطائرة ويلفها بمنديل ابيض كبير ـ كيف انك نزلت السودان وانت تجهله الجهل كله ، ثـم كيف عقدت صداقات حميمة مع شعب سهل المعشر ، وكيف ان عينيك قـد اخذتا تتصفحان صور الحياة وتستعذبان رؤية الناس الطيبين ، وكيف انك قد استذوقت طبيعة حياة عربية تختلف عما رأيت من قبل .

انك هنا في الخرطوم تشهد صورة الانسان كما تحب من اعماقك، أي انك تشهد نخوة النبل ، وشهامة التقليـد ، وروح العـرب ، وفروسية الرجال .

انهم هنا يحملون اليك الماضي العربي التليد المجيد ، الـذي قرأت عنه وسمعت به ولم تره ... انك تشهده هنا حيا في السلوك : نقاءا في الاخلاق وديموقراطية في الحياة ، وصفاءا في القلوب ، وانـك لتفرح ان تجد رقعة من الوطن العربي حفظ الله لها قلبها نقيا طفلا.. لم تشوه احداث السياسة النفس، ولم تخرب مدنية العصر الحاضر.. بقي الجميع ـ في المدينة والريف ـ اقرب الخلق الى معـدن الانسان المثالي ... الذي نطمح ان نكون مثله ، ونرغب الرغبة كلهـا في ان نحياه ، وان كانت الرغبة كامنة في لا وعينا احيانا !

والخرطوم بعد هذا سهلة الدرب ... انها مدينة منبسطة مثل انسانها ، افقية الامتداد متصلة عبر جسر بـ « ام درمان » العاصمـة الوطنية الشعبية ، وعبر جسر آخر « بخرطوم بحري » حيث تتشكـل من المدن الثلاث مدينة كبرى يطلقون عليها العاصمة المثلثة !

واسم « الخرطوم » اسم شبه بالارض التي قامت عليها الخرطوم وهي تشبه رأس الفيل ، ويشبه النيل الابيض والازرق بعد التقائهما خرطوم النيل ، وقد ميزها هذا الموقع بطيب المنظر وخضرته ، فالتقاء الامواه الزرقاء بالبيضاء يشكل طرافـة نادرة ، خاصة وان تدافـع النهرين منفصلين يجعل مياه النهر الواحـد الموحد محـددة اللونين لمسافة بعيدة موغلة !

وقد وجدت الخرطوم كقرية فبلدة فمدينة بالتتابع وكان اول مرة يقام بيت فيها في القرن السادس عشر للميـلاد ، حيث جاء جزيـرة توتي ـ التي تقع عند شواطىء الخرطوم ـ جماعة من قبيلة « المحس » وجعلوها مقرا وكان ذلك في عام ١٦٩١ ، وكان اول النازحين وزعيمهـم الشيخ « ارباب العقائد » ، الفقيه الـذي كان يحاول شق طريقـة خاصة في الاسلام .. بنى بيتا واقام به ، ثم شرع في تدريس الفقه ، فتحلق الناس حوله شاهدين له بالعلم والفضل عند الله ، متحببين اليه البقاء ، فاختاروا نفس الارض ونفس الموقع ، واقاموا بيوتهم عند بيت الولي ـ المعروف بارباد العقائد ـ أي الرائـد الكبير مـن رواد العقيدة .

وعلى هذا فالخرطوم ليست مدينة عريقة في قدمها ، فهي من حيث العمر لا تطاول القاهرة ، وقد بلغت هذا العام عيدهـا الالفي ، ولا تستطيع الوقوف الى جانب دمشق او القدس ، وكل منهما قد ضربت جذورها عميقة في ارض التاريخ ، انما الخرطوم ـ مع هذه الحداثة ـ لا تبدو مدينة هجينة ، ذلك انهـا استطاعت ان تنقـل ارث الماضي وعراقته من خلال عنصر البشر ، خاصة اذا تذكـر الراحل اليها ان « ام درمان » العاصمة الوطنية جزء منها ـ عاصمة مثلثة ـ ذلـك ان « ام درمان » وهي القديمة من حيث العمـر ، والعتيقة مـن حيث المذاق ، والغنية بروح الماضي رائحة ونفحا ، هي جزء مـن الخرطوم او هما جزءان يكمل الواحد منهما الآخر .

وحداثة الخرطوم لا تبدو في منشاها فقط ، ذلك ان هذا المنشا من حيث التسلسل الزمني مطعون فيه ، فلقد كان للخرطوم بدايـة حقيقية للنمو والتعاظم وتمثيل دور المدينـة فالعاصمة الرائدة سنـة ١٨٨٥ في شهر يناير ، وذلك عندما بدأت هذه المدينة حياتها الجديدة باحتفال صغير جرى عند اطلال قصر الحكمدارية المتهدم مـع صلاة تذكارية اقيمت على روح الجنرال « غوردون » الذي قتـل في ذلـك الموضع يوم استولى انصار الله من اتباع الامام المهدي الكبير علـى المدينـة .

في ذلك العام وبعد هذا الاحتفال الذي أدى فيه الجنود الانكليـز التحية مع اورطة من الجهادية السودانية بـدأت الخرطوم تستـرد موقعها ، وبدأت حياتها ، بعد تعطل زمني طويـل ، وبـدأ كتشنر ـ الحاكم الانكليزي ـ للسودان آنذاك يضع الخطة لنمو المدينة يعاونه في ذلك فريق من المهندسين .

ولعل من الايام التي تذكر عن الخرطوم الايـام التي ابطلتهـا ـ كمدينة وعاصمة ـ المهدي الكبير ، فلقـد رأى بعـد انتصاراته العسكرية واستيلائه على الخرطوم نفسها وقـد كانت العاصمة ، ان يزيل صفتها كعاصمة ـ وقد فعل ـ وذلك لضمان تخليص البلاد مـن رواسب الحكم التركي ، فاتخذ بذلك « ام درمان » عاصمة ، وشجـع الهجرة اليها ، لهذا السبب ولاسباب اخرى سياسية وقبلية . وهنا وفي الفترة بالذات اكتسبت ام درمـان صفتهـا الوطنية الشعبيـة وازدهرت من خلال حركة العمران والتجارة ، وان يكن هذا الازدهار ليس على قواعد حديثة » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

عض قلبي

بقلم السيد ابراهيم

قصة

في اجتماع ضم نخبة من شباب الوزارة كان صاحبنا يجلس في الصدارة يتحدث بالاشارة ويؤكد بالايمان المغلظة وباهتزازات الراس وبالخبط على المنضدة في عصبية وتأكيد .. نموذج شد انتباهي .. لم اكن اعرفه رغم اننا زملاء ، وثبت بصري عليه واخذت اتعرف على ملامحه وجدته شابا في الثلاثينات وجهه مجعد وعيونه خضراء غائرة فمه واسع ينفرج على مصراعيه وهو في ثورته ثم ينقبض في سرعة مدهشة ثم سرعان ما يعود الى وضعه الاول ، كان متحمسا يتكلم وتحس ان كلامه نابع من قلبه .. اثارني عندما تدخل في حديث خاص بيني وبين احد المسؤولين والغريب انه انضم الى الطرف الاخر قائلا في عنجهية وصلافة ..

– البيه على حق .. القانون هو القانون ..

ولم يكن هناك ما يستدعي ذكر القانون فقد كان حديثنا عائليا يشمل بعض النواحي الروتينية الخاصة بالدفاع المدني ومساهمة الشباب في ذلك الواجب الوطني .. تدخل واخذ في سرد تفاصيل لا يتطلبها الموقف والقيت عليه نظرة ساخطة ثم تركت المكان .

ولم اكن اعتقد انني سأراه ثانية ولكن لدهشتي كان اول من رأيته في المكتب الذي الحقت به ..

كان منتشيا ، منفوشا يتكلم بالاشارة ويصول ويجول داخل المكاتب يحدث ذلك بصوت زاعق ويتكلم مع اخر هامسا ويده تربت كتفه في ود اخاذ ، واستدعى صاحبه فجأة ليرد على التلفون وكانت المفاجأة ، وجدته يقول ساخرا وهو يقلب شفتيه ..

– هأ .. (في الوش مراية وفي القفا سلاية ..) وعاد صاحبه واستقبله بود قائلا في سعادة ..

اما يا بو حميد فاتك نص عمرك امبارح يا ولد كانت سهرة ... معليش يا بطل تعيش وتاخذ غيرها ..

وتعجبت لامره .. ولم يتركني انعم بافكاري .. جذب كرسيه ثم جلس بجواري وهو يفرك يديه في سعادة ويغمض عينيه في دعة ويقول .. شرفت يا بيه .. آنست ونورت .. انا شفت حضرتك قبل كدا .. فين ؟

وابتسمت ساخرا وقلت .. في الاجتماع ..

وسأل هامسا .. اجتماع ؟ اجتماع ايه ؟

ووجدتني ارد على تجاهله قائلا اجتماع امبارح ..

رد هو بسذاجة مصطنعة ... دفاع مدني ؟ .. مش فاكر .. هأ .. على العموم نورت يا بيه .

منذ تلك اللحظة احسست انه يحاول ان يعرف ما يدور بأفكاري عنه وعن اسلوبه تجاهل الامر وتجاهلت الموضوع .. قلت لنفسي ربما تكون فكرتي عنه غير واضحة .. ربما يكون متحمسا والحماس اعمى .. المهم .. لفت نظري انه مدلل جدا .. يحضر في اي وقت وينصرف في اي وقت ، والغريب انه في اللحظات التي يحضرها يكون لديه معلومات كثيرة عن كل ما دار امس واليوم بل وغدا في المكتب .. وشغلني ذلك الامر .. كيف يعرف كل شيء وهو غير متفرغ ؟.. والغريب انه كان في اللحظات التي يبدو فيها منسجما يضحك بسذاجة ويقول :

يا جماعة انا حغيب كام يوم .. اصل هما عاوزيني هناك ... في القسم .. اصل انا مسؤول عن مربع .. النشاط واخد كل وقتي .. الناس مبتقدرش .

وكان يسيطر على ادارة المكتب بما يظهره لهم من انه عالم ببواطن الامور وعلى صلة بالناس اللي فوق والناس اللي تحت .. كان الرجل المسؤول يخشاه .. ويقول له في رفق ولين .. مولانا .. عاوزينك معانا شوية .. يقول ذلك ولا يزيد .. ويضحك صاحبنا ويقول ... امرك يا بيه .. ويمدها مدا طويلا ... حاضر يا بيه .

ويضع الرجل المسؤول راسه داخل ملفاته ويتضاحك مع موظف اخر ليدفن همومه .

واردت ان اعرف سره .. لماذا يبدو قويا مسموعا نافذ الكلمة ؟ .. بل لماذا وكيف يعرف كل شيء ويلم بكل التفاصيل .. حتى الضحكات كان يعدها .. يحضر وفجأة يقول : ايوه صحيح .. امبارح اخينا قال كلمة مش عاجباني .. معناها ايه ؟.

ويفاجأ الجميع بأنه رغم انه لم يكن موجودا يعرف التفاصيل ... وظل ذلك الامر يؤرقني .. حتى كان ذلك اليوم الذي خرجت فيه وخرج معظم الزملاء وكان من غير المتوقع عودة اي فرد منا الى المكتب ... ولكن بعد ان غادرت المكتب وركبت (الاتوبيس) تذكرت انني نسيت درج مكتبي مفتوحا وحاولت ان اقفز من الاتوبيس ولكن في الاشارة هبطت مسرعا وعدت الى المكتب لافاجأ باجتماع غير عادي ... كان

صاحبنا يجلس في الصدارة وحوله السيدة حكم والانسة هوانم .. كان الباب يكاد يكون مغلقا .. سمعته يقول .. بقى كده ؟ ابن الـ .. عاوز يبقى شخصية ورياسة .. البتاع بتاع اول امبارح هيتريس علينا ؟.. دا بعده .. هأ .. كده والا ايه يا مدام حكم .. يا ام الاحكام ..

شدني الموضوع .. توقفت عن الدخول .. بل اقسم .. تسمرت قدماي خارج الباب وجاءني صوت مدام حكم اجش محطم .. وهي تقول .. خدمة عشر سنين في المخروب دا ويدوبك وضبنا امورنا والنهردا البتاع دا حيبقى ريس .. وقالت الانسة هوانم من خلال فجوات اسنانها الجاحظة والكلمات تنطلق من فمها كالقذائف الصاروخية وقال رئاسة آل ؟ يا عالم يا هو ... بس قوللي يا مودي – اسم الدلع بتاع صاحبنا – الواد دا متجوز ولا عازب ؟ ..

وضحك صاحبنا وقال ساخرا .. لا عازب ولا متجوز .. دا عانس .. هيء هيء .. كان يقصدها تلميحا .. وفهمت هي الامر فقد كانت تلك عقدتها .. فهي في نهاية الاربعينات وما زالت آنسة ... يقولون عنها انها تخانق ذباب وجهها اسلوبها هجوم ساحق لا تترك فرصة لاي انسان لكي يدافع عن نفسه او حتى يقول شيئا عن وجهة نظره .. وفي نفس الوقت كانت جبانة .. تراجعت بسرعة وكظمت غيظها ثم قالت متضاحكة .. اخص عليك يا مودي .. بلاش شقاوة .. انت مالك وماله ؟ ..

فهمت كل شيء .. عرفت ان ذلك الثلاثي يقود المعركة .. تكشف كل سر معرفته الدائمة والمستمرة بل والمتجددة ، الثلاثي يعلن الطوارىء عندما يعين موظف جديد خوفا من ان يقتسم معهم السلطة .. كانوا في رعب من ضياع فرصتهم .. لماذا يخافون المجهول ... هل يجمعهم فقط الخوف من الوافد الغريب ام ان خوفهم نابع من خوفهم على وضعهم الاستراتيجي ..لاحظت ان باقي الموظفين (غلابة) في حالهم يستغلونهم .. يعملون ويعملون .. يحضرون في الصباح ثم ينصرفون في آخر النهار .. يعذبونهم في قسوة لا يحد لها ..

ومن الغريب ان الوافد الغريب يظل مستغلا الى ان ينوُ كاهله تحت اعباء الظلم فتبدأ الثورة تتولد في اعماقه ثم وعندما ينفجر ويصبح ثائرا متفجرا يحاول التحالف الثلاثي ان يتجنبه ثم يبدأ في محاولة مفضوحة لضمه باعتباره (مؤهلات)



السيد ابراهيم

●

يصبح في نظرهم مركز ثقل فيحاولون جذبه .. ولكن الثائر عندما يحس بالاطمئنان يبتعد عن كل شيء .. يعيش وحده .. يتطلع في ذهول للجميع .. يرى ويتعلم ويستعد ويشحذ همته للدفاع عن وجوده فقط .. اما التطلعات نحو المكاسب الاستراتيجية فمعظم الموجودين لا يحلمون بذلك الهدف البعيد ..

ولا اعرف لماذا بدأ الثلاثي يشعر بي .. كنت لا اجد فروقا او اختلافات بل ولم يكن في رأسي اي شيء عن احلام او اوهام .. كل ما كنت اريده ان اعيش في هدوء .. ان اعمل واعمل فقط .. بل كنت احاول ان انهي كل ما يحول الي بسرعة وكفاءة شعر بها صاحبنا الرئيس وصاحب صاحبنا رئيسه ايضا .. تململ الثلاثي في خوف .. كان يحس انني خصم يخشى امره .. فصلوا علي شيئا لم يخطر على بالي .. رئاسة .. اي رئاسة ؟ .. كنت اود ان اعيش .. واعيش في سلام .. ولكن التحالف الثلاثي لم يعجبه الحال .. كنت كلما دخلت المكتب سمعت همسا ثم يعقب ذلك الهمس سكون .. سكون .. ثم غمزات ولمزات اثارتني في بداية الامر ثم سرعان ما قابلت ذلك كله بلا مبالاة .. لا مبالاة نابعة من اعماقي شعرت انني امام نماذج جديدة سوف تفرض نفسها علي وسوف تفرض وجودها وشخصياتها على حياتي .. فاستسلمت لقدري .. استسلمت للمصير على امل ان استطيع ان اكون صادقا مع نفسي ومع الناس ولكن كل ما كنت اريد ان اتجنبه ان يتم الصدام بيني وبينهم ..

لذلك حاولت جاهدا ان اقترب منهم وكلما تقربت كلما شعرت بالغربة والاغتراب .. وشعروا هم بالضيق والخوف وفجأة احسست ان هناك تحولا في سلوك مودي .. كان يقابلني بالاحضان ويصر ان اشرب معه الشاي وكنت اعرف انه لا يحاول ولم يسبق له في يوم من الايام ان جامل احدهم وطلب منه ان يشرب معه الشاي .. وكان الشاي الذي يشربه شاي مخصوص يعده هو شخصيا لنفسه ولبقية التحالف .. شاي ثقيل ومضبوط يعد لها الثالوث اعدادا جيدا ويتم نضجه على النار الهادئة وهم

مواسم الصقيع

ما للصقيع مواسم لا تنتهي — لكأنها ليست مواسم
لكأنها (....) مقيم عابث — خطواته عشرات آثم
وملامح الكون اضمحلت وامحت — وتشابهت كل العوالم

عهدي بأن العمر درب مواسم — تأتي وأخرى تنتهي
عهدي به متلون ان نشتهى — حينا ، فحين نشتهي

وأنا ... الينابيع التي فجرتها — متحجر فيها العطاء
وأنا ... الاناشيد التي أطلقتها — يبست ولم تهب العزاء
وخبت بأعماقي المشاعر كلها — وتبلدت وقضى الرجاء

بشر أنا ، يا شاعري ، ولذا أنا — أحيا بآفات البشر
ولسوف آلف وقعه متجمدا — سأحبه ذاك المطر

دمشق — سلافة العامري

يثرثرون ويتضاحكون ويتغامزون ويتداولون في شؤون اقطاعيتهم الادارية التي ورثوها ..

كانوا سعداء وكانوا يتجنبون الوافد الغريب .. واليوم يحاول مودي وباصرار غريب ان اشرب الشاي في البداية كنت ارفض واردت ان ادرس الامر فقد كانت ملاحظاتي جيدة واردت ان اتأكد منها .. وجاءت الفرصة بأسرع مما كنت اتصور .. ما ان رآني مودي حتى قال بصوت ناعم ... جيت في وقتك .. حماتك بتحبك .. الشاي جاهز .. جاهز يا عمي .. اشرب معانا وقلت له .. امرك يا سيدي .. نشرب معاك ... ونظرت نحوه وشعرت بارتباكه وباصفرار وجهه ولكنه حاول اخفاء اضطرابه بضحكة مصطنعة وهو يقول .. حاضر يا سيدي .. على رأي المثل .. عض قلبي ولا تعض رغيفي .. وانت يا بو الافكار حتعض رغيفي .. أصدي قلبي . أشرب الشاي وبعدين نتفاهم .. وشربت الشاي لاعض قلبه .. ثم تساءلت في دهشة .. الشاي وشربته وحتى لا اعض قلبك سأعوضك خيرا .. وضحكت .. وقال مودي وصاحبتاه تنظران نحونا في تساؤل ..

ـ بقى دا فصل يا راجل ...
بقى حضرتك بقالك كام يوم ونبص نلاقيك معانا .. على قلبنا حتى الاجر الاضافي حتاخذ منه .. بقى دا اسمه كلام .. يا راجل حرام عليك .. انت لازم مهم .. بذمتك انت قريب صاحبنا ؟ ..

وسألته في دهشة .. صاحبنا مين ؟ ..

فقال مستنكرا .. خش في عبي يا واد .. المدير الجديد ؟ .. مش هو اللي جايبك ؟

وضحكت وانا اقول .. يا مودي بيه ما تخافش .. انا لا ابتاع اجر اضافي ولا حاخد اضافي لسبب بسيط جدا .. لان انا هنا ضيف .. ضيف وبس .. مش موجود هنا .. انا هنا ملحق على المكتب .. لكن دا مش مكاني ..

وفتح فاه من الدهشة .. يعني انت مش حتقعد معانا هنا ؟ ..

ـ ابدا يا مودي .. لا هنا ولا هناك ..
ـ امال ايه الحكاية ؟
ـ ولا حاجة
ـ يعني حتمشي
ـ ايوه يا سيدي
ـ امته ؟
ـ النهارده ..

وقالت هوانم في تأثر ..
ـ يا خبر يا مودي .. عملها فيك ورد مودي .. يا خسارة ..
وضحكت من كل قلبي وانا اقول ..
ـ معلش يا سي مودي ... صحيح عض قلبك .. لكن تعيش وتاخد غيرها ...

القاهرة — السيد ابراهيم

مكتبة الاديب

أدب الغرباء لابي الفرج الاصبهاني

نشره عن مخطوطة فريدة في العالم الدكتور صلاح الدين المنجد – منشورات دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧٢

الكتاب على صغر حجمه قيم ، و « تحقيق كتاب قديم بالاعتماد على مخطوطة واحدة فريدة منه ، هو من اسهل الامور اذا كانت صحيحة مضبوطة جيدة . لكنه يكون من أصعب الامور واكثرها مشقة اذا كانت المخطوطة سقيمة ، كمخطوطتنا ... المقدمة : ١٦ » . ولنا ان ندرك صعوبة عمل الاستاذ المنجد اذا عرفنا ان المخطوطة هذه لا يرقى تاريخ نسخها الى اكثر من قرن واحد من الزمن ، وان النقول عنها قليلة جدا . ولكن الاستاذ الناشر استطاع ان يذلل كل هذه الصعوبات ، ولا عجب فهو صاحب طريقة في التحقيق ، وقد لخص لنا طريقته هذه في كتابه « قواعد تحقيق المخطوطات » ، وصاحب خبرة طويلة في تحقيق كتب التراث . والحق انه لا بد لكل من يتصدى لمثل عمل الاستاذ المنجد ان تند من قلمه أوهام لا تقدح في عمله . ومن هنا كانت لي ملاحظات على نشر الكتاب وأنا اقرؤه رأيت ان اشير اليها غير مبوبة لقلتها . (1)

١ – ورد في ص ٢٣ س ١٥ : « وروي لنا عن اسحاق بن عبد الله قال : كنت في خدم ابي جعفر فدخل قصر عبدويه وأنا معه فقال : اعطيني فحمة ... » وصواب « اعطيني » : أعطني لان الخطاب لمذكر هو « اسحاق » . وان تكن عامية فقد كان ينبغي ان يشار اليها بشيء.

٢ – وفي ٢٤ : ٧ « وحدثني احمد بن زياد الكاتب ، شيخ لقيته ببغداد من أهل همذان قال : ... » والجملة – فيما أظن – قد اضطربت على يد الناسخ فقد سقط منها شيء موضعه بعد « الكاتب » ، وصحف فيها الفعل « لقيته » . وربما كان صوابها : « وحدثني أحمد بن زياد الكاتب عن شيخ لقيه ببغداد من أهل همذان قال ... »

٣ – وفي ٢٨ : ١٧

« خبرينا خصصتيا سرح بالغيث بصدق والصدق فيه شفاء »

قال الناشر عن البيت في الهامش : « في الاصل : بصدق فان فيه شفاء » . والدقة تقتضي ان يضيف الى جملته هذه : وما اثبتناه من « روضة المحبين » و « بدائع البدائة » فقد ذكرهما الناشر وقابل نص ابي الفرج عليهما .

٤ – وفي ٣١ : ١٤ « أيها المدعي على الايام ان رمته بصائبات السهام » وموضع « أن » في عجز البيت وربما كان تزحلقها من عمل المطبعة .

٥ – وفي ٣٣ : ١٣ « وقرأت على حائط مسجد الجامع ... » والصواب : « حائط المسجد الجامع » لا سيما ان الاستاذ الناشر قد فعل مثل هذا في ص ٣٢ : ١ : « وقرأت على فناء المسجد الجامع » اذ قال في الحاشية : « في الاصل : مسجد الجامع » .

٦ – ٣٩ : ٥ « حدثني أبو محمد ... قال : كان عندنا بالبصرة فتى من اولاد التجار المياسير ... فكان في كل سنة يظفر بمال ويصعده الى بغداد ، فيقيم بها يشرب في الحانات ... فاذا نفقت الدراهم عاد الى البصرة ... » وفي النص شيئان الاول ان الفعل يصعد أنسب من « يصعده » ذلك ان الصاعد هو الفتى وليس المال والثاني ان « نفقت الدراهم » صحفت من « نفدت .. » بالدال المهملة بمعنى فنيت ، وعلى هذا يكون النص : « ... كان عندنا .. فتى .. فكان في كل سنة يظفر بمال ويصعد الى بغداد ... فاذا نفدت الدراهم عاد ... »

٧ – ص ٣٩ : س ١٧ قال الناشر في الحاشية : « ... توفي الخبز رازي سنة ٣٢٧ ... » والصواب انه الخبز أرزي والخطأ جاء من المطبعة .

٨ – ٤١ : ٩

« من شدة لا يموت الفتى ولكن لميقاته يهلك
فسبحان مالك من في السما والارض حقا ولا يملك »

وعجز البيت الثاني غير موزون سقطت منه كلمة هي « في » فيكون البيت :

فسبحان مالك من في السما وفي الارض حقا ولا يهلك

٩ – ٤٣ : ٧ « كان طرأ الينا شاب ... حسن الوجه ، نظيف الجملة » . و « الجملة » هذه لا تنسجم مع « الوجه » والانسب منها ان تكون قد صحفت عن : الجمة : التي هي مجتمع شعر الرأس . فيكون النص : « ... حسن الوجه نظيف الجمة » او يشار اليها في الهامش .

١٠ – ٤٥ : ٤ :

« انعموا آل برمك وانظروا منتهى هيه
وارقبوا الدهر أن يدور عليكم بداهيه »

وفي تقطيع البيت الثاني اضطراب اذ ينبغي ان يكون :

وارقبوا الدهر ان يدو ر عليكم بداهيه

او يشار الى انه مدور كما فعل الناشر في ابيات مثله مرت .

١١ – ٤٧ : ٧ :

« فصر الدور خلاء ولم يمهل أخا عز ولا قهر »

كذا اثبته الناشر باهمال الياء من « صير » والصواب اعجامها وذلك ما يقره هو في قواعد تحقيقه (ص ١٩ ط ٤) .

١٢ – ٤٧ : ١٠ « ... حدثني أبو بكر ... الاصفهاني الكاتب قال : حدثتني عجوز من جواري الواثق قالت : كنت ممن يأنس بها المقتدر بالله وينبسط اليها . وكان من أحسن خلق الله ضربا بالعود.. وكان شديد الكتمان لذلك فاذا خلا مع جواريه وخواصه ومعي ضرب وغنى ... فغنى يوما صوتا لم تعرفه جارية ولا عرفته ... »

وهذه الجارية هي من جواري المقتدر وليس الواثق وذلك لان :

أ – اذا افترضنا ان الواثق اشتراها ايام خلافته وليس قبلها فان عمرها سيكون في ايام المقتدر اكثر من سبعين سنة على احسن تقدير . اذ ان من المعروف ان الواثق بويع سنة سبع وعشرين ومائتين وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وان المقتدر بويع سنة خمس وتسعين ومائتين ومعنى ذلك ان بينهما ثلاثا وستين سنة على احسن الاحوال ، فكم هو عمر الجارية اذا افترضنا انها كانت شابة في ايام الواثق وان

---

١ – نشرت في مجلة المكتبة بعد ان فرغت من تدوين ملاحظاتي العدد ٨٨ – ٩٥ التي تصدر في بغداد ملاحظات على الكتاب نفسه لا تتعدى الاربع باسم « زيد هلال » ، فلم أر حذف بعض ملاحظاتي التي تصدى اليها .

الحادثة وقعت في اوائل ايام المقتدر ؟

ب ـ من غير المعقول ان يجالس المقتدر جارية بهذه السن فضلا عن ان ينبسط اليها ويغني امامها .

وعلى هذا يكون النص : « ... حدثتني عجوز من جواري المقتدر قالت : ... »

١٣ ـ ٥٨ : ٩ ـ ١٠ :

« ومن هويت جفاني　　مطاوعا للحسود
يا رب موتا والا　　فراحة من حسود »

في البيتين ايطاء ، فقد تكون القافية في أحدهما صحفت عن شيء ، وارجح ان يكون التصحيف في البيت الثاني كأن تكون كلمة « حسود » صحفت عن « حقود » أو غيرها . وكيف كان الامر فقد كان ينبغي ان يشار اليها بشيء .

١٤ ـ ٦٠ : ٥ « وحدثني أبو الحسن بن مروان الاندلسي ، شيخ لقيته في مجلس أبي بكر ... قال ... »

وربما يكون سقط شيء من النص موضعه بعد « الاندلسي » ربما هو : « وهو » فيكون النص : « وحدثني أبو الحسن ... الاندلسي ، وهو شيخ لقيته ... »

١٥ ـ ٦٠ : ١١ «... سنة اربع عشرة وثلثماية» كذا اثبتها الناشر باثبات الياء في « ثلثماية » والصواب انها بالهمزة اذ اننا نعرف ان الناسخين يكتبونها بالياء شأنهم في ذلك مع كل همزة . وعلى هذا تكون : « .. اربع عشرة وثلثمائة » .

١٦ ـ ٦٣ : ١١ ـ ١٣ : « وحكي عن سويد بن جعفر الكوفي قال : قرأت على حجر منقور على باب الحيرة : من يعمل اليوم لدار البقاء يجزيه مولاه غداة اللقاء . فاجتهد اليوم بحسن التقى تنج من شر دار الشقا » .

والنص الذي قرأه سويد الكوفي بيتان من الشعر من البحر السريع اثبتهما الناشر ـ كما فعل الناسخ ـ على انهما نثر ، والصواب اثباتهما على هذه الصورة :

من يعمل اليوم لدار البقاء　　يجزيه مولاه غداة اللقاء
فاجتهد اليوم بحسن التقى　　تنج به من شر دار الشقاء

ويشار الى ان الشطر الثاني من البيت الثاني ورد في الاصل : « ... دار الشقاء » بحذف الهمزة .

١٧ ـ ٦٤ : ٤ ـ ٥ :

« كيف يصفو سرور من ليس يدري　　أي وقت يفجأه ريب المنون »

كذا جاء عجز البيت باثبات الهمزة من الفعل « يفجأ » فانكسر الوزن ، والصواب تسهيل الهمزة في الفعل فيكون :

« كيف يصفو ....　　أي وقت يفجاه ريب المنون »

١٨ ـ ٦٩ : ١ « ... بينه وبين مصر مسير ثلاثة ايام في طريق غير مسلوك ، فاخذنا صفه ... »

و « صفه » هذه لا معنى لها في السياق والانسب منها : صفته فيكون النص : « ... في طريق غير مسلوك ، فاخذنا صفته » .

١٩ ـ ٦٩ : ٣ « ... من حجر أبيض كالثلج فيه تلميع أسود.. » بضم العين من « تلميع » والصواب تنوينها فليها فيها ما يمنع من هذا التنوين ، ان لم تكن المطبعة قد منعت ذلك .

٢٠ ـ ٧٠ : ٢ « ليس يبقى سوى الله الذي لا نراه وهو يرانا » بضم آخر اسم الجلالة والصواب كسره . ولعل هذا من عمل المطبعة .

٢١ ـ ٧٠ : ١٧ « ... وهو رافع بيده لا يعمل شيئا الا يحرك عينيه ، ويلتف رأسه كالحذر ... »

والفعل « يلتف » ربما صحف عن الفعل « يلفت » فهو أنسب للسياق وعلى هذا يكون النص « ... الا ان يحرك عينيه ، ويلفت رأسه كالحذر .. »

٢٢ ـ ٧١ : ٢ « واذا الكنز في أرض القبة تحت الطلسم ، فلم نزل نعمل في قلعة كل حيلة ... » كذا هو مثبت باثبات التاء في

« قلعة » والصواب انها هاء وليست تاء فهي ضمير يعود على الطلسم، وعلى هذا يكون النص : « ... فلم نزل نعمل في قلعة كل حيلة » ولعل هذا من اخطاء المطبعة أيضا .

٢٣ – ٧١ : ٥ – ٧ « .. واذا على صدر الطلسم كتابة يلوح فيها هاذان البيتان » :

تعب يطول لطامع في نيل ما أمسيت جامعة فقل لا تطمع

أ – صحيح « جامعة » : جامعه بالهاء .

ب – قال الناشر عن « جامعه » : « في الاصل : طامعه » وفي رأيي ان ما جاء في الاصل اكثر صوابا لان الذي يريد الكنز لم يجمعه بعد وانما يطمع فيه وهو مطلسم . ثم انه ورد في النص . واذا كان ما منع الناشر من اثبات « طامعه » ان الفعل : طمع لا يتعدى الا بالباء او « في » : تقول : ، طمعت بالشيء وفي الشيء ، فان ذلك ذنب الشاعر وكل ما على الناشر ان يشير الى تعدية الفعل في الهامش .

٢٤ – ٧٢ – ٧٣ : ١٥ – « حضر الهارب من الله اليه ، والمتوكل في كل خطب عليه ، وهو يقول : يا كاشف الكربة عن أيوب ، ومرسل العير الى يعقوب ، فرج هموم الكمد المكروب وارزقه من فضلك يا وهوب » .

أ – اثبت المتوكل بفتح الكاف والصواب كسرها .

ب – قول هذا الهارب رجز وليس نثرا . صوابه ان يكتب على هذه الصورة : وهو يقول :

يا كاشف الكربة عن ايوب	ومرسل العير الى يعقوب
فرج هموم الكمد المكروب	وارزقه من فضلك يا وهوب

٢٥ – ٧٩ : ١ – ٤ :

« يا أهل مكة قد فتنت بظبية	ترعى دياركم فهل من مسعد
اني غريب والغريب مساعد	ذو صبوة ، فارثوا لطول تكدري
اني احتشمت لقاءكم وخطابكم	فكتبت ما ألقى بباب المسجد »

والابيات دالية الا الثاني منها ، فلا بد ان تكون « تكدري » قد صحفت من شيء لعله : « تنكدي » .

٢٦ – ٧٩ : ١١ :

« هذا وما حم الفراق فكيف لو قالوا: الرحيل يكون حال الهايم»

اثبت الناشر « الهايم » بالياء والصواب انها بالهمزة .

٢٧ – ٨٥ : ٢ « وما احتشم ان اقول » والصواب اثبات الهمزة في الفعل فيكون : « وما احتشم ... »

٢٨ – ٨٧ : ١٤ « ... ما أظلمك لنفسك » بفتح السين من « نفسك » والصواب كسرها وتبعتها على المطبعة .

٢٩ – ٩٢ : ١١ « واخرجت دنينرات ... » والصواب : « دنينيرات » لان الدينار يصغر على : دنينير وليس « دنينر » .

٣٠ – ٩٥ : ٦ ورد ذكر ابي الحسن علي بن الكلواذي المعروف بليلى فقال الناشر في الحاشية : « مر ذكره في الخبر ٥٦ ... » والصواب أنه مر ذكره في الخبر ٥٨ .

٣١ – ٩٦ : ٤ : « مر بنا شاب ... فلما بصر بنا وبموضعنا وطيبه قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فرددنا عليه السلام وسألنا مجالستنا ففعل ... »

وفي النص شيئان :

أ – « سألنا » مصحفة عن « وسألناه » ولو كانت « وسألنا » لكانت « ففعل » : « ففعلنا » .

ب – جملة : « سلام عليكم ... » آية كريمة في سورة الرعد رقمها ٢٤ ، لذا كان ينبغي ان توضع بين القوسين اللذين خصا بالآيات ويشار الى تخريجها ، وعلى هذا يكون النص : « مر بنا شاب ... قال سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فرددنا عليه السلام ، وسألناه مجالستنا ففعل ... »

٣٢ – ٩٧ : ٢ « قد كنت حلف سرور ،بقربكم وحبور »

كذا ورد بتنوين الراء من « سرور » والصواب حذفه لان في البيت تصريعا .

بقي بعد هذا ان اشير الى اشياء منها ان الكتاب كله في اخبار الغرباء والمحبين والغناء احيانا الا الخبر ٢٢ وهو أبيات لابي العتاهية فانه في الحجاب ، ويبدو لي ان هذا الخبر ناشز عن موضوع الكتاب فلعله أقحم عليه فيما بعد لا سيما أنه ورد في الاغاني كما اشار في هامشه الناشر ، فلو أشير بشيء في المقدمة فانه يلفت النظر .

والشيء الآخر الذي أشير اليه هو مسألة رسم اسماء الاشارة : هذا ، هذان ، ذلك ... الخ فالناشر يرسمها باثبات الالف : هاذا ، هاذان ، ذالك ... وعلى أنا نعرف رأيه في المسألة اذ يقول : « اما الالفاظ المحذوفة ألفها فالافضل في رأيي اثبات الالف فيها : مثلا لاكن بدلا من لكن وهاؤلاء بدلا من هؤلاء ... قواعد تحقيق المخطوطات .»

١٩ – ٢٠ ط ٤ « دار الكتاب الجديد بيروت » الا أنا نود ان نشير الى اضطراب رسم هذه الاسماء فمرة تثبت الالف المحذوفة – وهذا هو الغالب – ومرة تحذف كما في ص ٤٥ : « فتطير بذلك » على سبيل المثال و ص ٤٦ : « ان كان هذا الحمار ... » ... وكما اضطرب رسم اسماء الاشارة اضطرب رسم ألف « مائة » فاثبتت مرة كما في ص ٦٠ « وثلثماية » ، ص ٦١ : « ثلاث وعشرين وثلاثمائة » ، ص ٧٨ : « ومائة » ... وحذفت مرة كما في ص ٣١ « وثلاث مئة » ، ص ٥٦ : « وثلاث مئة » ... والذي نعرفه عنه أنه يفضل ان « يثبت: سبع مئة بدلا من سبعمئة او سبعماية وثلاث مئة بدلا من ثلثمئة او ثلاثماية ... قواعد تحقيق المخطوطات : ٢٠ » .

والشيء الثالث ان الاستاذ المنجد قد الزم نفسه بتعريف الاماكن التي تمر في الكتاب بالكتابة عنها كلمات قليلة او بالاحالة على معجم البلدان وحسنا فعل ، ولكنه لم يفعل هذا ب « جزيرة قبرس ص ٤٢» و « ظفار ص ٦٠ » و « خضراء روح ص ٨٩ » . واذا كانت « قبرس » و « ظفار » معروفتين فان « خضراء روح » مجهولة هذا الى انه عرف ب « بيروت » و « صور » . فقد يحسن والحالة هذي ان يشير الى هذه الاماكن بشيء فان وحدة المنهج تقتضي ذلك .

واذ أراني أشرفت على الانتهاء من ملاحظاتي فاني لا ادعي أني اتيت على كل ما في الكتاب فقد تكون هناك اشياء فاتتني ، ولا ادعي انها القول الفصل فللاستاذ الدكتور المنجد قبل غيره ان يرى رأيه فيها، وله ألف شكر على ما أتاح لنا من فرصة الاستمتاع بقراءة هذا الكتاب الذي ظنناه ضائعا .

بغداد – كلية الاداب

محمد حسين الاعرجي

حوار عبر الابعاد الثلاثة

مجموعة شعرية – بلند الحيدري – ١٢٤ صفحة – منشورات وزارة الاعلام في بغداد – مطبعة الاديب ببغداد – سنة ١٩٧٢

الابعاد الشعرية عند بلند الحيدري تاخذ لها اشكالا متعددة ، فهو كما يتضح لنا من مطالعة دواوينه السابقة ، يحاول تجاوز نفسه وتجاوز واقعه وتجاوز عصره ، اعني ان هذا الشاب يتطلع دائما الى خلق شيء جديد ، بخلاف معظم الشعراء المعاصرين الذين نجدهم – دائما – في مكان واحد وفي مستوى واحد ، يكررون ذواتهم وتجاريبهم ولا يحاولون تجاوزها .

أما بلند الحيدري فشاعر اعطى بسخاء كثير واستطاع – عبر دواوينه العديدة – ان يخلق مدرسة شعرية ، ذات خصائص ومميزات وظواهر تجديدية ، تؤكد استقلالية هذا الشاعر ككل شاعر أصيل يعطي

من روحه ومن ذاتيته ولا يتبع مدرسة أخرى ، وعلى الرغم من اصالة بلند الحيدري كشاعر وكناقد ايضا فانه لم يأخذ بعد حقه من الشهرة الحقيقية التي حصل عليها شعراء آخرون ليسوا في مستواه الشعري او الادبي . وانا استغرب ان يبقى مثل هذا الشاعر حتى الان شبه مغمور ، وشبه مشرد ، يعيش بعيدا عن ارضه وبلاده يبحث عن لقمة العيش ويبحث عن الشهرة .

واذا كان بلند الحيدري لم يحظ بعد باهتمام النقاد ، بالقدر الذي حظي به زملاؤه ، من امثال السياب والبياتي والملائكة ، فان مرجع ذلك ليس الى انه اقل من هؤلاء لا في العطاء الشعري ولا في المستوى الشعري وانما يرجع الى اجحاف النقاد له والى انطوائيته وعدم مشاركته في الحركات والمهرجانات التي تقام هنا وهناك حيث يستعرض فيها الشعراء عضلاتهم وقواهم وحناجرهم ، واعتقد انه سيأتي يوم يصبح فيه شعره محل اهتمام الدارسين والنقاد وسيحظى بنوع خاص باهتمام المدارس النقدية العربية والاجنبية ايضا ، فقد لمست من خلال قراءة شعره انه من الشعر الجيد الذي يستساغ فهمه وتذوقه حتى عندما ينقل الى لغة اخرى .

وفي « حوار عبر الابعاد الثلاثة » نلمس بوضوح كم هو شقي بحياته وبواقعه . حيث نجده يصرخ من اعماقه :

« وبكيت هناك
وتسكعت هنا
وتسكعت هناك
أبحث عن نفسي في عنوان ضائع »

ولعل الظاهرة البارزة في ديوانه هذا هي ظاهرة (الصوفية) التي غلفت اكثر ابيات المجموعة : « يشتمل الديوان على ثلاث قصائد هي : (١) حوار عبر الابعاد الثلاثة (٢) مسيرة الخطايا السبع (٣) نداء الخطايا السبع » وقد لجأ في كل قصيدة من قصائده الثلاث الى (ربه) يناجيه ويتوب اليه ويلوذ بكنفه طالبا النجدة والمغفرة ، وهو في ذلك يذكرنا بشعر ابن العربي ورابعة العدوية والنفري وغيرهم من شعراء الصوفية والروحانية القدماء . وقد يكون اتجاهه هذا نابعا عن معاناته لظروف نفسية قد تكون آنية انتهت بعد ان نفس عنها بهذه القصائد ، او ربما يستمر انتاجه المقبل متخذا له نفس هذا الشكل الشعري الصوفي اذا ما استمرت معاناته للظروف ذاتها .

وهو في مخاطبته للرب يتخذ (رمزا لذاته) عدة اشكال للانسان المحمل بالخطايا ونجده يبحث له عن أي اسم يدنيه من الرب ، ونجده يفلسف العالم والحياة والآخرة بأسلوب فيه كثير من التمرد والشطحات الصوفية ، كما نجده يكثر من التساؤلات التي تدل على القلق والتشاؤم ، ويتجلى ذلك في أول مقطع من أول قصيدة في ديوانه عندما يفسر (واقعه) قائلا :

« يا كلكم ..
يا غيبة الحاضرين
يا انتم المارون كل لحظة ببيتي المنكفىء الاضواء
والحاملون ليلي الثقيل في صمتكم المرائي
اني هنا ..
أموت من سنين
أزحف من سنين
خيطا من الدماء بين الجرح ، والسكين »

وهو يلجأ الى طريقة (الحوار) حتى يعطى لـ (الموضوع) ابعادا فلسفية رائعة تتجلى اكثر شيء في قصيدته الاولى حيث نراه يستخدم تارة (كورس نسائي) وتارة (كورس رجالي) وتارة اخرى (كورس مشترك) وهو يستهدف عن طريق استخدام طريقة (الحوار) تعميق الحس الدرامي ، وبلورة الصورة الصوفية في قصيده ، ولا نغالي اذا قلنا انه يلتقي في ذلك – ربما عن غير قصد – مع لوركا في قصيدته « عرس الدم » ، ومع ذلك يصعب جدا (تقييم) قصيدته « حوار عبر الابعاد الثلاثة » بمعزل عن قصيدتيه (مسيرة الخطايا السبع) و (نداء الخطايا السبع) فالقصائد الثلاث مكملة لبعضها وهي تلتقي مع قصيدة « لوركا » من حيث (الجو العام) ومن حيث (ترابط الفكرة) ومن حيث (الطابع الصوفي) فعند بلند الحيدري مثلما هو عند لوركا ينطلق شعر كل منهما ليعبر عن قلق الانسان عن يأسه وعن انسحاقه ، ولكن الحيدري نجده هنا يتخذ له بعدا شعريا لم يكن يوجد من قبل في كل مجموعاته الشعرية السابقة ، وقد يكون مرد ذلك ان الشاعر اهتدى الان الى (شخصيته) او انه بدل (هويته) الشعرية . وهذا التحول في الاتجاه كثيرا ما يحدث عند كبار الشعراء والادباء والفنانين ، وهو – في غالب الاحيان – ينبع عن ظروف ورواسب نفسية ، وبلند الحيدري الذي يتخذ (الدم) رمزا لليأس الانساني يحدد الفارق بين الزيف والحقيقة فيقول :

« فليس بين الزيف والحقيقة الا دم جف على الاسفلت من سنين
جف فلن يذكره الجرح
ولن تعرفه السكين
اصرخ بهم : غدا اذا مر بنا الصبح ستلتقي السكين والجرح
وبقعة الدم التي تحملها احذية العابرين »

فهذه (الصرخة) الفلسفية الرائعة تتعرى امامها كل (الممارسات) المتسترة وراء الزيف والاقنعة ، وهنا يبرز (الدم) على الاسفلت الذي تحمله احذية العابرين ليرمز الى الانسحاق والانصهار ووحشية الانسان تجاه أخيه الانسان .

وتتجلى الابعاد الرمزية في قصيدته هذه عندما يتمثل القارىء منظر الدم على الاسفلت ، ثم مشهد الناس الذين يعبرون الطريق فتعلق بأحذيتهم بقع الدم اللزجة ، ثم خطوات الاقدام تطبع على طول

الطريق آثارها ببقع الدم .

وفي الحقيقة ليس كل قارىء يستطيع ان يفهم او يتذوق الابعاد الرمزية في هذا الشعر ، فالقارىء العادي لا يمكن ان يجد في ديوان « حوار عبر الابعاد الثلاثة » غير الطلاسم التي لن يفهم منها شيئا ، وانا لا اعني ان شعر الحيدري - في هذه المجموعة - شعر معقد وغير مفهوم ، انما الذي اعنيه هو ان القارىء العادي (غير المثقف) يمكن له ان (يقرأ) هذا الشعر ولكن لا يمكن له ان يفهمه او يتذوقه ، اذ لا بد لقارىء هذا الشعر (التعمق) الى وراء (الحسيات) والى ما وراء (الاشارات الرمزية) والى محاولة اكتشاف (الابعاد اللامقرؤة) فيه .

لقد اثبت الشاعر بلند الحيدري في ديوانه هذا انه من شعراء العرب الرواد الذين أوجدوا مناخات شعرية جديدة لها طابعها ولها خصائصها التي تميزت بها عن غيرها من المدارس الشعرية العربية الحديثة .

محمد العامر الرميح

●

العانس العاشقة

تاليف محمد غازي عرابي - ٢٦٣ صفحة - دار الجيل ببيروت - ١٩٧٢

حسنا فعل الصديق الروائي ، والشاعر المعروف محمد غازي عرابي ان استجاب مؤخرا لطلب الناشرين ، ونشر رواية « العانس العاشقة » وهي من رواياته الجديدة ..

ان الاستاذ عرابي من حملة الاقلام النيرين في سورية العربية ، الذين اخلصوا لفن الكلمة واعطوها من نفوسهم ، وعلى الخصوص من افكارهم الشيء الكثير ، ويكفيه فخرا حقا ، بل يكفيه مجدا انه لم يحترف صنعة الكتابة ليتسلى ببريق بهرجها او طنين شهرتها .. وانما كتب ، ويكتب لانه يؤمن بالادب مرتادا لافكاره وافكار الجيل ، وصولا الى العقول والقلوب والضمائر ينير لها سبيل الحق والخير والجمال ..

ان رصيد الادب الروائي في سورية العربية يزداد يوما اثر يوم بفعل الافضلية التي لاساليبه والفرص التي يتيحها للمؤلف ليقدم تجاربه وافكاره .. وان اسم محمد غازي عرابي ينضاف اليوم عن جدارة الى اسماء الرواد المبدعين في الرواية السورية ، واخص منهم عبد السلام العجيلي ، وفاضل السباعي ، وحنا مينة ، وكوليت خوري ، وجورجيت حنوش ، ومحمد الراشد ، وانور القصيباتي ، وفارس زرزور ، ومطاع صفدي ، وصدقي اسماعيل ، ووليد مدفعي ، وانعام مسالمة ، وسلامة عبيد ، ونبيل سليمان ، وغيرهم ممن سبق ان درست ادبهم في كتبي السابقة عن القصة السورية ..

وهذه الرواية الجديدة « العانس العاشقة » طراز أصيل من الرواية التي درج النقد الادبي المعاصر ينعتها بالرواية المواقفية الذهنية ، وهي الرواية التي ترصد مواقف نفر من الناس في قطاع من الحياة ، وضمن احداث موضوع من الحياة ، ذي مرتكز ذهني ..

(القطاع) هنا قطاع الوظيفة والموظفين ، و (المواقف) هي مواقف نماذج من الناس ازاء الخير والشر ، السمو والتقهقر ، و (الموضوع) هو اغواء غني موسر ذي نفوذ لعانس تعيش ظروفا قاسية تجبرها على ان تسلمه عفافها ، فيصطدم شاب مثالي بجريمة هذا الاغواء ، فيحاور ويداور حتى ينتهي الامر به اضطرارا الى ان يتشاجر مع هذا الزنيم الاثيم ويتضاربان ويسرح هو والعانس المجني عليها من الوظيفة ..

واما الجانب الذهني في الرواية فهو الروحي يشمل شتى جذور هذه المواقف المختلفة ، وخاصة حرية الفتاة ، المثل الاعلى والسلوك ، الطبيعة الانسانية ، القيم الاخلاقية بين المادة والروح وهكذا دواليك ..

ولا شك في ان البراعة في مثل هذه الموضوعات تكون في المعالجة الروائية في سرد الاحداث او رسم الشخصيات او تحليل المواقف او تفنيد مضامين المعاناة .. والحق يقال لقد كان الاستاذ عرابي جد بارع في هذه المعالجة الروائية يوجه فيها الحديث كيفما شاء له الطبع الاصيل ، المتمكن من صنعته بحيث سرد وحلل وفند من موقف الى آخر ، وفي الوقت نفسه وفر لذلك كله الجو الذهني الصوفي ، او لنقل ايضا الوجودي المثالي بشتى متناقضاته الواقعية ..

واقعيا وذهنيا الموضوع وفكرته ابديان لا ينفكان يتكرران على مسرح الحياة : اغواء بفعل الفنى والنفوذ ، مراوغة ، اصطدام ، تكتم .. ولكن الجديد في الرواية مسحتها الانسانية الاسيانة ، فقد ظل المؤلف يؤثر فيها واقع المعاناة ، حتى في البحث عن اسرار الوجود، والرواية بذلك كله واقعية وجودية يسورها الحس الروحي ان في مواقفها ، او تسلسل الاحداث فيها ، او خاتمتها باسوار مثاليته ومتناقضاته ..

لقد كان من براعة المؤلف عرابي انه استطاع ان يترك ابطال هذه الرواية يعيشون ظروفهم القاسية ومواقفهم باندماج ومكاشفة صميميين لا مواربة فيهما ..

(أيمن) شاب مثقف من الطبقة المتوسطة التي هي بالاحرى فقيرة، يعمل موظفا ليكسب عيشه وقوت يومه ، يتميز بمثالية تتحكم باخلاقه والتي تظل فاضلة نبيلة ، كما يتميز بصوفية في الفكر والاحساس والوجود اكسبته طابع الاخلاص ، والبراءة ..

(هدى) فتاة عصرية ذات ثقافة جيدة ، عملت لتحرير المرأة منذ كافحت ضد وسطها ، وقد طردت من الجامعة بسبب آرائها .. انها تعمل مترجمة لتكسب قوتها وقوت أهلها ، وظلت عانسا محرومة من الحنان ، فيتصيدها رئيسها الغني الموسر ويغويها فتحمل منه ، وها هي تخشى الفضيحة والقتل ..

(شوقي) غني موسر من بكوات ايام زمان الذين يتوارثون البكوية والمال والنفوذ وراثة ، وهو رئيس الدائرة التي يعمل فيها أيمن وهدى، وصولي رغم طيبة قلبه ، فاسد الطوية رغم تظاهره بالحنان ، منحط السلوك ، لئيم وأيضا مكار ..

وضمن هذه الخطوط الاساسية لشخصيات الابطال تتسلسل الاحداث لتكشف عن اللعبة الابدية في كل زمان وكل مكان ، لعبة التمرغ في الوحل !.

ولكن بماذا تفسر الرواية هذه اللعبة ؟.. هل تفسرها بالحتمية التي تجعل البارود ينفجر بالنار ، او الهشيم يحترق من شرارة ؟!. ام انها تفسرها بتناقضات الوجود التي تجعل الحرية نفسها خداعا وسرابا ؟!.

في الحقيقة الغالب على تفسيرات الرواية هو هذه (العدمية) الظاهرة التي يعيشها الابطال كلهم تقريبا ، ولكنها عدمية ممزوجة بالحس والحياة والروحانية، وهنا الاشكال بل هنا الطرافة والاصالة..

واني اعتقد ان ابطال الرواية أشكاليون معقدون في الصميم بحيث لم نطلع من نفسياتهم في هذه الرواية الا على جانب من مواقفهم ازاء هذه اللعبة الابدية ، التي لاستسلام عانس لاغواء غني موسر يرميها الى الارض والجنين في احشائها ..

ومن هنا يغلب الظن عند القارىء المتفحص لهذه الرواية الممتازة، انها بالاحرى حلقة اولى في (ثلاثية) يمكن ان يتحف المؤلف عرابي بها قراءه ، يعرض فيها بقية الحكاية ومواقفها والتي ظلت مثل علامات استفهام على الدرب .. علامات استفهام عن الكرامة المطعونة ، عن الحق المهدور ، عن الظلم الذي ينتصر ، عن الحرية والضمير والعدل.

ان الرصد المواقفي البديع حقا في الرواية ، والذي تركنا عند

ذلك التسريح الاشكالي الظالم ، يدفعنا الى ان نرجو من المؤلف عرابي اتمام الحكاية في هذه الثلاثية المرجوة !. ولا شك انه فاعل !. ناهيك ان دمج الحدث الخارجي ، بالمعاناة الداخلية ، تتيح للرصد المواقفي فيها مثل هذا التفري ، والذي وفرته الرواية بدقة وتؤدة وصدق ..

هناك ملاحظات على ابطال الرواية ومواقفها ، وعلى الخصوص ذهنيتها ، نحب ان نسجلها وفاء للنقد الادبي ، وبرا بالفائدة المرجوة منه ..

ان المطالع للرواية يلاحظ ان القارىء يظل يتعاطف مع بطليها الرئيسيين أيمن وهدى ، على الرغم مما ارتكبا من افعال شاذة او مشينة ..

ولكن الا نستطيع ان نسأل المؤلف لماذا اختار لايمن هذه الصورة القاتمة ، العنيفة ؟!. انه فقير ، محتاج حتى لبدلة أخيه ، وربطة عنقه ، سوداوي ، حساس سريع المبادرة ، يعيش في عالم صوفي من الافكار المتضاربة بل هو مريض ، اعصابه واهنة يحس باحتراق في مؤخرة الدماغ يعتريه بين الفينة والفينة ، يتهيج في انفعال ، ويندمج في اخطر المغامرات ، خاصة التي يظنها لخير الناس !..

اظن ان الصورة قاتمة ، وعنيفة .. لدرجة أننا نشفق على هذا الشاب اكثر مما نكن له الاعجاب والتقدير .. وكان العكس هو الاولى به والاجدر برسالته ولا سيما انه صاحب مبادرات لاستكناه القيم الاخلاقية ، والروحية ...

وكذلك هدى كيف تناقض نفسها ، وتنسى حريتها وارادتها ، لا اقول في احوال تقهقرها التي هي اقرب الى ان تجعلها تسقط في الوحل .. ولكن عند تحدي شوقي بك لها ، ولصديقها ، فتسكت وتراوغ وتستتر وتماشي ذلك الفني الموسر حتى تسرح !.

قد يظن القارىء ان الموقف الاشكالي لم يتسع لاكثر من هذا التسريح الذي هو نفسه أشكالي .. ولكن كيف ترك شوقي بك ، وشانه يتصرف كل هذه التصرفات الشائنة الآثمة ؟!. لقد ظل شوقي بالفعل ذلك النموذج الاصم المغلق على نفسه ، الذي ينتصر على الرغم من آثامه وجرائمه .. ونرجو اذن من بقية (الثلاثية) ان تعريه على حقيقته الحسية ، وخاصة في سلوكه الظالم الآثم ازاء تينك البراءتين المريدتين الفعالتين ..

فتحيتنا للمؤلف محمد غازي عرابي على هديته الثمينة ، التي طالعتنا بهذه النماذج البشرية الشيقة ، ومزيدا من هذا النتاج الذهني الاصيل ، والبديع ، والى لقاء .

دمشق عدنان بن ذريل

●

أحلام السراب

ديوان شعر – الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي – (؟) صفحة – مطبعة (؟)

« احلام السراب » هو الديوان الشعري الثالث للدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي ، وان يكن اول ما وقع في يدي من شعر لهذا الرجل الهائل العطاء .. وما أحسب الدكتور الخفاجي كان كاتبا قبل ان يكون شاعرا ، فان نشأته الريفية وثقافته الدينية والادبية وطبيعة منطقه في تناول الاشياء ، كل ذلك يؤكد بأن عمق الشاعرية فيه أبعد اغواره غورا ، وان ما عدا الشاعرية فيه يأتي تاليا ... وان كان ذلك التعاقب لا يتحيف من قيمة شيء لحساب شيء آخر على الاطلاق ... بمعنى ان قضية سبق الشعر في الرجل لا تنال من قيمته الفكرية وانما تعني بالضرورة ان شاعرها ينطلق من منطلق الشاعرية في كل شيء ، ويأتي فكره ليضع هذه الشاعرية الواثقة في مناطها الصميمي من حركة الخلق وديمومة الابداع !!

واذا كانت مدرسة « ابولو » في الشعر قد استقطبت عديدا من الشعراء الفارهين في مسار الحركة الشعرية المعاصرة واستطاعت من خلال هؤلاء الشعراء ان تستصفي اروع ما في الاتجاه التقليدي من قوة التعبير وفحولة الاداء وصفاء الايقاع ... واروع ما في الاتجاه الذهني – اذا صح ان يقال – من وحدة الحس ، ووجدانية الحركة . وهز الاعماق . واحتضان الطبيعة ... فان شاعرنا يقف – من خلال ابداعه الشعري وليس من خلال مجرد حضوره الآني – مع شعراء هذه المدرسة ، وان تكن القامات الشعرية تتفاوت من شاعر الى شاعر ومن نوعية ثقافية الى نوعية ثقافية ، ومن طموح في حركة الابداع الى طموح في حركة الابداع !!

بمعنى أننا نستطيع ان نجد في شعر الدكتور الخفاجي تجنيحا كالذي نجده عند شعراء أبولو بلا استثناء ، وخاصة حين يجنح شاعرنا الى بكائياته العذبة يفلسف فيها احزانه واحزان عصره اللاغط بملايين المقولات الضاغطة على صدره العامر بالاغنيات .. ولكننا كذلك نستطيع ان نجد في شعر الدكتور الخفاجي أبوابا فارقة بينه وبين زملاء مدرسته على الاطلاق وخاصة حين يعطف شاعرنا – بحكم مزاجه وثقافته – الى لون من الوان التصوف الوجودي – اذا جاز لهذا التعبير ان يستقيم – فيصبح التصوف وجوديا – فان كل تمرد يبحر معه الدكتور الشاعر ما يلبث في تضاعيف القصائد او في نهاياتها ان يجنح الى استغفار لائذ ، او استرفاد لقوى الالوهية الخالقة ... وتلك خاصية ربما لا نعثر عليها في شعراء مدرسته بلا تفريق !... ان التمرد الكاسح في القصيدة الواحدة عند شعراء أبولو لا ينعطف الى مهادنة من أي لون ، ولكن هذه المهادنة عند الدكتور الخفاجي ظاهرة لا تتخلف في أي من القصائد التي يبحر فيها مع خاطر هاجس ، او انفلات متأزم على نحو من الانحاء .

في قصيدته « هموم الفكر » يبدأ الشاعر بالثورة العارمة :

بكيت .. ويضحك القدر ونمت .. وغيرنا سهروا

ومن عجز الضعيف / خصوم حرياتنا قدروا
وقلت مناجيا نفسي / لماذا كان لي بصر
لماذا كان لي عقل / لماذا كان لي نظر
لماذا كنت انسانا / وأفضل مني الحجر

هذه بداية ثائرة ومتمردة ، وكان يمكن لشاعرنا ان يستطرد مع هذه الثورة ، وان يتمرد أعرض من هذا التمرد ، ولكن الكوابح الذاتية والبيئية والثقافية هاضت هذا الجناح الباسل على هذا الافق ، وجنحت به على أفق مغاير تماما ، ربما يستقيم منطق الاشياء هنا اذا قلنا انه ثورة على الثورة ، وتمرد على التمرد ، واستجابة لموقف عقائدي نحن نحترم ذرات ذراته بلا حدود . ان الشاعر يجهش في ألم عقب حشد من التمردات الرائعة :

لماذا رب لم يدرك / حقيقة هديك البشر
لماذا رب كل الناس / بالاوهام قد أسروا
وفي ادراك معنى الحق / والايثار ... قد عثروا
ولم يجمع على توحيدك / القدماء ... والاخر
لماذا رب ضل الناس / ليس تردهم نذر

وانسيابا مع هذا الموقف العقائدي يكتب الشاعر عديدا من القصائد المحضة لهذا الفرض ، « رحلة التاريخ » .. « مهرجان الحق » .. « ملحمة الاجيال » .. « أمم تطوى » وغيرها ... وهو في كل هذه القصائد يحاول بالفعل ان يقول كلمته وان ينوع - بصوته هو - على لحن نوع عليه شعراء العربية في كل اجيالها ، وهنا تبدو فداحة العبء الشعري بحق ، ويبدو المتصدى لهذا العبء واحدا من الكبار اذا سلمت لنا خطواته على هذا التراب الحاشد بملايين البراكين .

وقد تعطي قصيدة « رحلة التاريخ » وجه القضية اروع مما يعطى سواها بلا حدود ...

قد أعز الانسان فيها النبي / ليلة كل شأنها عبقرى
كل ساعاتها عظيم مجيد / وعظيم صباحها والعشى
وجهها المشرق الجميل البهى / فجرها الابيض الوضيء الندى
وقف الدهر خاشعا في حماها / وهدى الارض نورها الاحمدى

وتمضي القصيدة على هذا النسق من هذا الايقاع التواصل الموحي فتستعصي كل ابعاد الرحلة ، ونحس مع آخر اصدائها اننا على مشارف الانتهاء في رحلة كل أبعادها عبقري : المحتوى ... والشكل والشاعر الذي عانى في رحلة الابداع .

وهنا - لا بد ان نستيقظ على حقيقة ان الشاعر في رحلة عروجه الفوقي في قصائده الايمانية لم يفلت من قبضة كونه شاعرا من مدرسة أبولو ... وهذه الكينونة الشعرية ، ليست شيئا ساذجا يمكن ان نمر به هكذا عابرين ... لقد احتذى الشعر الايماني انماطا سابقة عليه دائما ، فوقع على تراب الفقد لهويته الذاتية ، وهذا أخطر ما واجه الشعر الديني من تحديات لم يفطن اليها دارسو هذا اللون من الشعر على مستوى تذوقي او مستوى أكاديمي جميعا وبلا تفريق .. ولكن شاعرنا هنا حاضر في كل بيت من ابيات قصيدته حال في كل صورة من صورها ، ليس بما هو فرد مبتوت الجذور بما قبل وبما بعد ، فهذا مناط لا يمكن العروج اليه . وانما .. بما هو واحد من جيل شعري يعتنق رؤى وجدانية شاعرة ، ويتحرك من خلال منظور فني على كل الجبهات ، وفي كل اتجاه .

ولكن الحس العقائدي المحتوي ليس هو كل القضية في هذا الديوان ، فهناك الى جواره يبدو الحزن حسا مأساويا على مستوى من الثغور في صميم الذات .. ولست اعني هنا بالحزن هذا النوع من الاحباط النفسي الذاهل عن دوره وهويته ، وانما اعني هنا بالحزن هذا النوع من الفجيعة الكونية في منطق الاشياء ... ان هذه الصرخة الحزينة الاسيانة تترجمها الكلمات :

نحن يا رب .. من عقيدتنا .. من ديننا .. بين ذا الورى غرباء
ان يكون الجمال .. والخير.. موجودا.. ولا يبصرون .. داء عياء

وهذه الكلمات :

هي الحياة وأشجانها / آلامها لي وأحزانها
أنا منها قصة ضخمة / ومن القصة عنوانها

وهذه الكلمات :

وي لامسي ولايامي وي / ولليلي ونهاري العبقرى
المنى كل المنى قد ذهبت / وتلاشت بددا من راحتى
وبقايا الحلم كانت بيدي / أين ما كان قريبا بيدى
أين أمس الصفو ؟ ولى ومضى / ثم أبقى لي الاسى في وجنتى
والرؤى أضحت خيالا ودجى / بعد ما كانت سنى في ناظرى
فسواء أملي أو ألمي / ليس فرق بين الاثنين لدى

ان قضية الحزن هنا لا تعني - كما قلت - موقفا ذاهلا عن نفسه وعن كل شيء . وانما تعني بالضرورة موقفا وجوديا فاتحا احداقه على كل شيء على العشوائية الباهظة التي تحكم الاشياء ... على القوى العدوانية الساحقة للقوى المسالمة ... على القبح الوجودي المتهم في شراهة التنين كل جماليات الحياة ... على الحرب ... والجوع والتفاوت ... والغلاظة ... والاهدار ... والظلم .. والدمامة وكل ما هو منتم بالضرورة الى عائلة القبح في جنبات الوجود . ان هذا الحزن هو حزن ديوان « احلام السراب » مع احتياط ينبغي ان يراعى جيدا في هذا الصدد ، وهو ان الشاعر لم يقع في شراك المباشرة للتعبير عن كل هذه الرؤى وكل هذه المقولات ، ولكنه ظل رابضا في موقعه الذي ينتمي اليه ، عاكسا كل آلامه وأحلامه من خلال هذه القناعة الذاتية بان على الشاعر ان يحس ويقول ... وليس بان يقول ثم يحس .

ان حزنا ذاتيا يندغم في حزن كلي هو ما يرى في هذا الديوان ان حزن الشاعر على فقد أمه ... وأبيه ... يندغم في حزنه الشامل على فقد العدالة والحرية وجمال الجمال فوق الارض ... وهذا وحده هو ما يعطي حزن شاعرنا مذاقه الصميمي ، الشامل لابعاد كل المقولات الصميمية الهادفة الى قرار .

أماه ... كنت لي الحنان جميعه / وبك الرضا.. والعطف..والسكن
عشت السراب .. وذقت كل خداعه / وأصاب غيري الخوف والوهن
أماه .. أبكي العمر وهو مضيع / وقلوب صحبي البغض والضغن
أماه أبكي العيش وهو مرنق / وحياة غيري .. الزور .. والافن

هذا هو مذاق الحزن في ديوان « احلام السراب » .

والحب ... ثالث ابعاد هذا الديوان ... الحب الذي عرفناه عند شعراء أبولو ... حبا للفاتنة .. وللصديق ... وللابن وللطبيعة ... وحتى للحب نفسه ... وأبدا يبحث الشاعر في من يحبه عن الدفء المنتقد ... والحنان المنشود .. والفرح الغائب عن دنياه ..

يغني شاعرنا لوحيده « ماجد » فتسيل شفافية وعذوبة من لون رائع بحق ...

واحة آمالي .. أنت .. في متاهات السفر
كالسحر جئت .. كالسنا .. وكالنسيم في السحر
وجئت كالمنى .. وكالنصر .. آتى على قدر
كالشمس يوم الزمهرير .. كالشذى غب المطر
وما أحيلى العيش حين جئتنا بأروع الصور
وصرت يا (ماجد) في جيدي عقدا من زهر
واعشوشبت بك الحياة وارتوى بك الثمر
واخضر عشنا ، وكان العش مجدب الصور
انسان عيني ، ورؤى الروح ، وبهجة البصر
وفلذة من كبدي .. وجدة اسمي في البشر

ويغني لحضن الدفء في حياته فينهمر العطر في كلماته :

يا كل آمالي ومهجة خافقي / حسبي فمهد الحب يعرفني
أنت التي أشعلت في قلبي المنى / وهواك صدق هواك يذكرني

حسبي ذنوبا في الهوى دهري الذي   بطموح نفسي عاد يحرمني

وحين يغيب حضن الدفء عن حياته يجهش :

وان بعدت فاني أحيا على ذكرياتك
طول النهار أناجي الجميل من امسياتك
والليل أنشر فيه المكنون من صفحاتك
وفي فؤادي .. ترن العذاب من ضحكاتك

الحب هنا مشدود من الخاص الى العام ، ومن العام الى الخاص بلا حوائط عازلة بين هذين المحورين ... الحب الذي يعطي بلا ثمن ويدفع أغلى الاثمان حتى يعثر على حب جديد ...

وأكاد هنا انتهي الى قناعة أخرى ... هي أن شعراء الازهر ـ والدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي واحد منهم ـ بحاجة الى دراسة خاصة مستأنية ، تتفرس ملامح اتجاهاتهم على تشعبها وتباينها، وتبحث لكل واحد منهم عن انتمائه الفني الحقيقي ، ومدى ما أفاد من ثقافته الانتمائية ، ومن انتمائه لثقافته . فان كل أولئك راجع في النهاية الى تشكيل حركة شعرية تصدر عن رافد صميمي . وان تفايرت شكولها وانماطها والوان انتماءاتها الفنية ... وان كنت واثقا من شيء فانني واثق من ان الدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي أقمن دارس بهذه الدراسة ، اولا : لانه رجل أكاديمي يعرف من أين يبتدىء والى أين ينتهي ... وثانيا : لانه فنان شاعر يعرف قيمة النبض الشعري ومساره جميعا . وقبل ان ألقي بالقلم ... فلتكن تحية الوداع ... ان اشد على يد الرجل وان انيط به هذا العبء ... وان استرفد قلمه الشاعر آلافا من مواعيد الحرف تختبىء في قفزاته الواثبة فوق السطور .

القاهرة   **محمد أحمد العزب**

•

مصطلحات بلاغية

تأليف الدكتور احمد مطلوب ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة العاني في بغداد

هذا كتاب آخر يضيفه استاذنا الدكتور أحمد مطلوب الى المكتبة البلاغية ، وهو ثمرة لجهد المؤلف الدائب في الحقل البلاغي تدريسا وتأليفا .

فقد اعطى الاستاذ الفاضل لهذا الحقل عصارة نظراته السديدة التي ازاحت ركام السنين الطوال عن وجه بلاغتنا العربية وبعثت في جسدها المتعب المكدود حياة جديدة فيها من الماضي اصالته وثباته ، ومن الحاضر جدته وحيوته .

فدراسات المؤلف وبحوثه العديدة التي سبقت هذا الكتاب قد اسهمت مجتمعة في اعادة بناء الشخصية المتكاملة للبلاغة العربية ، ولئن غلب المنهج التاريخي على هذه الدراسات فذلك امر لا مفر منه لكل باحث يتصدى لمثل هذه الدراسات ، وهي سمة لازمة للدراسات البلاغية بوجه خاص . وقد شدني هذا المنهج اليه حين تصديت لدراسة « علم البديع : نشأته وتطوره » في رسالة جامعية لنيل الماجستير . فالموضوع البلاغي لم يكن ليتصدر مكانته في الكتب البلاغية الا بعد ان مر في مراحل طويلة كانت بداية الموضوع فيها لمحة دالة ، ثم دخل في مرحلة المصطلح غير المستقر وشارك المصطلحات الاخرى غير المستقرة في الدلالة على ظواهر بلاغية عامة .

ومن هنا يجد المتتبع ان المنهج التاريخي يفرض نفسه ، ولا مناص من ذلك لمعرفة الخصائص الفنية للموضوع البلاغي من خلال مراحل تطوره وتبلوره .

ان المصطلحات البلاغية قد تناثرت في الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية وهي تحمل مدلولاتها اللغوية اكثر من حملها لمدلولاتها الاصطلاحية ، الا ان وفرة الدراسات والبحوث وتشعبها قد صانت تلك المصطلحات من الضياع ، بل هي تبنتها وامدتها بعوامل نمائها ووفرت لها اجواء التبلور والاستقلال ، لتكون علامات مميزة ثابتة لظواهر بلاغية معينة .

ولقد تتبع الدكتور احمد مطلوب في بحوثه العديدة مراحل هذا التطور ، وواكب الموضوعات البلاغية من اوائل نشأتها حتى مراحل استقلالها ، وبذلك اعان الدارسين على الكشف عن القيم الفنية في هذه الموضوعات ومدى قدرتها على ان تقدم للاساليب المعاصرة من الجدة والطرافة والفنية ما يعيد اليها رونقها العربي الاصيل في خضم هذا الاضطراب الذي يجتاح ساحة اللغة العربية حتى ترك بين الجيل المثقف وبين لغته الاصيلة حجابا كثيفا نرجو الا يدوم امد بقائه طويلا.

ويأتي كتاب « مصطلحات بلاغية » على صغر حجمه وافيا بحاجة الدارسين لهذه المادة ، وسبيلا لاحبة الى معرفة عوامل التطور الذي رافق موضوعات البلاغة مجتمعة في كتاب بدلا من تفرقها في عدة مظان .

ويوضح الدكتور مطلوب الدافع الاساس لتأليفه كتابه هذا فيقول:

« ومما دفعنا الى ذلك اننا نسمع في كل حين دعوة الى وضع المعجم التاريخي ، وهو امر لا يقدر عليه احد ، لان تأريخ الالفاظ العربية ممتد في الزمن ، ولان الكثير من النصوص ضاع في غمرة الاحداث التي مرت بالامة ، ورأينا ان البلاغة اسهل موردا واقرب منالا ، فاردنا ان نطبق هذه الفكرة عليها ونستعرض المصطلحات ليكون تاريخ تطورها امام الدارسين . وهذا هو الهدف الذي سعينا اليه » .

ويشير المؤلف الى ان منهجه في تأليف الكتاب يقوم « على رصد كل مصطلح في مظانه واستقاء الرأي فيه من منابعه ، والربط بين الاراء ربطا يظهر تطورها التاريخي ، ويحدد معنى المصطلح الذي استقر وتعارف عليه البلاغيون المتأخرون » .

تناول الكتاب دراسة خمسة مصطلحات تعد من اوائل موضوعات البلاغة وابرزها ، وهي الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع .

وقد وفرت هذه الدراسة على الباحثين جهد البحث عن هذه المصطلحات في مواضعها المتفرقة ، وذلك فضل يذكر للاستاذ المؤلف ويشكر عليه

واننا على ثقة من ان المؤلف سيمضي في هذا السبيل راصدا مجموعة اوفر من مصطلحات البلاغة العربية مسجلا تطورها التاريخي راسما لشداة البلاغة طريق الافادة من هذه المصطلحات في احياء الاسلوب العربي البليغ ، وقد وعدنا المؤلف بالمضي في تكملة ما بدء به بقوله :

« ولعل هذه المحاولة التي نقدمها اليوم تكون سبيلا تفضي الى دراسة مصطلحات البلاغة كلها ، وايضاح تطورها التاريخي » .

ولست اشك في ان استاذنا الجليل سيفي بوعده ويتحف المكتبة البلاغية بثمرات يانعة من جهده العلمي المبرور ، وكنت اود ان يوشح كتابه بعبارة « الجزء الاول » اشعارا للقارىء المتتبع بأن هذا الكتاب هو اول الفيث ، وستليه غيوث مباركة غدقة باذن الله .

وبعد : فهذا تنويه بالكتاب لا يغني عن دراسة تفصيلية ارجو ان يتوفر عليها غير واحد من رادة هذا الميدان لتنجلي امام الباحثين والدارسين تلك الجوانب المهمة التي خفيت علينا من هذه الدراسة الماتعة .

تحية اكبار وتكريم لاستاذنا الكريم وتهنئة من الاعماق على مؤلفه القيم .

بغداد ـ دار التربية الاسلامية   **جليل رشيد فالح**